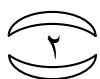


البلاغة والبيان في تفسير إيضاح القرآن بالقرآن
- للشنقيطي -
في تفسيره
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

أ. د. عقيد خالد حمودي العزاوي

الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾

صدق الله العظيم

«سورة الإسراء: الآية ٨٨»



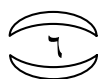
الإهداء

إلى...

ولدي أحمد حباً وعرفاناً
سائلاً المولى أن يسيّر على
خطى الصالحين والعارفين

المؤلف





المقدمة

الحمدُ لله الذي خلق الإنسان وعَلَّمَهُ البيان، والصلاة والسلام على
رسوله محمد الذي آتاه الله جوامع الكلم، وخصَّه بمزيد فصاحة وحسن بيان.
وبعد:

فإنَّ علوم البلاغة هي مستودع سرِّ العلوم العربية، ومظهر جلالها، فلا
فضيلة ولا مزية لكلام إلا بما تحويه من لطائفها، ويودع فيه من خصائصها،
ولا تبريز ولا غلبة لمتكلم على آخر إلا بما يحوكه من وشيها، ويلفظه من
درّها، وينفث من سحرها، ويجنيه من يانع ثمارها.

فبينما كنت أبحث في بعض كتب التفسير عن ملحوظات بلاغية، تتعلق
بموضوع ما كنت أنوي البحث فيه، تبادر إلى ذهني الرجوع إلى تفسير
الإمام الشنقيطي، ورجعت إليه وتصفحته، فظفرت بشيء كبير حول هذا
الموضوع، وأنَّ المؤشرات الأولية كانت مشجّعة للخوض في غمار هذا
التفسير وعالمه الشنقيطي.

وقد قمت بمسحٍ أوليٍّ على التفسير قبل الكتابة فيه، فخرجت بحصيلة
مقبولة مفادها أن جعلتني أن أدرس الموضوع والكتابة فيه. مؤملاً أن تضيف
مؤلفات الشنقيطي الأخرى مادة علمية تُثري الموضوع.

ولاشكَّ أنَّ الحرص على هذا الموضوع، كان بسبب الأهمية الخاصة
الذي يحتلها بحثٌ من هذا القبيل. ذلك أنَّ من يتأمل أساطين البلاغة وأعلامها
لا يسعه إلا الإذعان بغلبة هؤلاء الرجال ومنهجهم الاعتزالي والأشعري.

ومن هنا تكمن أهمية البحث، إذ يشخص موقف علم من أعلام المدرسة السلفية الحديثة وهو الإمام الشنقيطي، من خلال دراسته للمباحث البلاغية ويعرض تصوُّره حيالها، وهو ما سيسهم في كشف هذه المدرسة لقسم كبير من الأدوات والمباحث البلاغية وإجراءاتها، ثم إنَّ كون الشنقيطي علماً من أعلام العلم الشرعي أمر يكشف عن ملمح آخر من ملامح أهمية هذا الموضوع، إذ سيكشف عن عمق الوشائج بين المباحث البلاغية والعلم الشرعي.

ومما يعني تفعيل دور البلاغة والاتجاه بها نحو الاستثمار في مساحات بكر، ذات التصاق شديد بشؤون الإنسان المسلم.

إنَّ الأسباب السابقة تتعاون لتعطي هذا الموضوع أهميته، وهي نفسها الدوافع التي حفزت الباحث على اختيار هذا الموضوع والكتابة في ميدانه.

وقد اخترت تقسيم البحث إلى فصول، جاء تقسيمها كالآتي: بعد المقدمة يأتي التمهيد الذي تناولت فيه لمحة موجزة عن حياة الشنقيطي مولده ونشأته، وآثاره العلمية.

وجاء الدخول في صلب البحث عبر الفصل الأول الذي تناولت فيه علم المعاني عند الشنقيطي كالخبر والإنشاء والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والقصر، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل.

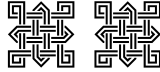
أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن صور البيان، مبيناً رأي الشنقيطي في التشبيه. ومنتقلاً منه إلى المجاز العقلي وعلاقاته، ثم إلى المجاز اللغوي بقسميه: المجاز المرسل والاستعارة. وأخيراً كان الحديث عن الكناية والتعريض، ثم ختمت هذا الفصل بحديث عن إنكار الشنقيطي للمجاز وموقفه منه ودليله للإنكار.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه ألوان البديع المعنوية واللفظية التي عرض لها الشنقيطي مثل التجنيس والمشاكلة والتجريد والالتفات واللف والنشر ومراعاة النظر والمقابلة والتضمين وتأكيـد المدح بما يُشبهه الذم ثم جاءت الخاتمة وأهم النتائج وقائمة المصادر والمراجع. والله من وراء القصد.

أ. د. عقيد خالد العزاوي

بغداد المحروسة

٥/شعبان/١٤٣١هـ —



التمهيد

✽ الشنقيطي اسمه ونشأته وآثاره العلمية:

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح ابن محمد بن سيدي أحمد بن المختار، من أولاد أولاد الطالب أوبك، وهذا من أولاد أولاد كريم بن الموافي بن يعقوب بن جاكنا الأبر، جد القبيلة الكبير المعروفة بالمكنين. ويعرفون بتجكانت، ويرجع نسب هذه القبيلة إلى حمير^(١).

ولد عند ماء يسمى (تنبه) من أعمال مديرية (كيف) من القطر المسمى بشنقيط، وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن، وكانت ولادته عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م)^(٢).

نشأ - رحمه الله - يتيماً فقد توفي أبوه وهو صغير يقرأ في جزء «عم» فنشأ في بيت أخواله، وكان بيت علم، فحفظ القرآن على يد خاله وعمره عشر سنوات، وتعلم رسم المصحف على يد ابن خاله، وقرأ عليه كذلك التجويد.

ودرس القرآن منهجاً متكاملاً، بما في ذلك من رسمه ونوع كتابته وضبط التشابه في الرسم والتلاوة، وحفظ في ذلك السن بعض الأراجيز المتعلقة بهذا الفن والعلم. وأخذ الأدب وعلوم اللغة على يد زوجة خاله، فكانت مدرسته الأولى ببيت أخواله الذي درس عليهم علوم القرآن والأدب

(١) مقدمة الأضواء، ص ٩.

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي: ٤٥/٦، ومعجم الأعلام، ص ٦٨٢.

والسير والتاريخ^(١).

ثم أخذ بقية العلوم على مشايخ متعددين في فنون مختلفة، وكلهم من
الجكنيين، ومنهم:

١- الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار.

٢- الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم.

٣- الشيخ العلامة أحمد بن عمر.

٤- أحمد بن مود الجكني.

٥- أحمد فال بن آده الجكني.

٦- محمد النعمة بن زيدان الجكني.

قال - رحمه الله -: «وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كلّ الفنون: النحو
والصرف، والأصول، والبلاغة، وبعض التفسير والحديث، أما المنطق وآداب
البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة»^(٢).

عاش مطلع حياته في بلاده شنقيط، وقد سافر لأداء فريضة الحج سنة
(١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م)^(٣) وعلى نية العودة لكنّه قرّر فيما بعد البقاء في تلك
الديار المقدّسة، فعاش بها لحين وفاته في اليوم السابع عشر من ذي الحجة من
عام ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة ضحى يوم الخميس^(٤).

(١) ينظر: مقدمة الأضواء، ص ١٠-١١.

(٢) مقدمة الأضواء، ص ١١.

(٣) ينظر: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص ٢٥٤.

(٤) ينظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص ١٧٨.

❁ مؤلفاته:

خَلَّف الشنقيطي العديد من المؤلفات، في مختلف نواحي العلم والمعرفة، في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والعقيدة والمنطق والأنساب وغير ذلك، وهذه المؤلفات تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه، ومنها ما هو تأليفاً ومنها مخطوطاً، وهي مُصنفة على ما يلي:

أولاً: التفسير:

وله فيه تفسيره المشهور بـ(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) مطبوع بطبعات عدة.

ثانياً: التاريخ والسير: وله في ذلك

١ - نظم في أنساب العرب وسماء (خالص الجمان في أنساب بني عدنان) (نظم مفقود)^(١).

٢ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام. مطبوع^(٢).

ثالثاً: علوم القرآن: وله في ذلك ما يلي:-

١ - بيان النَّاسخ والمنسوخ من آي الذكر الحكيم. مطبوع^(٣).

(١) الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ص ٣٢٠.

(٢) ينظر: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام: بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٣) ينظر: مطبوع ضمن تفسير (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): محمد الأمين ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الأندلس الخضراء - جدة، ط ١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

٢- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. مطبوع^(١).

٣- منع جواز المجاز في المنزّل للتعب والإعجاز. مطبوع^(٢).

رابعاً: العقيدة: وله في ذلك:

١- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات. مطبوع^(٣).

٢- رسالة في جواب سؤال صدر من أحد أمراء بلاد شنقيط أرسله إلى الشيخ يسأل: هل الخلق مرزوق من بركته ﷺ أو له أسباب أخرى؟ مخطوط^(٤).

خامساً: علم الأصول: وله في ذلك:

١- مذكرة أصول الفقه. مطبوع^(٥).

٢- نثر الورود على مراقي السعود. مطبوع^(٦).

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي - رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - القاهرة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

(٢) ينظر: منع جواز المجاز في المنزّل للتعب والإعجاز: لصاحب الفضيلة العلامة الجليل محمد الأمين الجكني الشنقيطي - رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - الهرم - القاهرة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

(٣) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط ١، ١٣٨٢هـ = فبراير ١٩٦٣م.

(٤) ينظر: العذب النмир: ٥١/١.

(٥) ينظر: مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة - رحمه الله -: الشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، دار القلم، بيروت - لبنان، (د.ت).

(٦) ينظر: نثر الورود على مراقي السعود: شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (صاحب أضواء البيان): تحقيق وإكمال تلميذه: الدكتور محمد ولد=

سادساً: الفقه: وله في ذلك:

١- النّظم الكبير في فروع مذهب مالك. مخطوط^(١).

٢- نظم في الفرائض. مخطوط^(٢).

سابعاً: فن المنطق: وله في ذلك:

١- آداب البحث والمناظرة. مطبوع^(٣).

٢- ألفية في المنطق. مخطوط^(٤).

٣- شرحه على سلم الأخضر. مخطوط^(٥).

ثامناً: موضوعات عامة: وله في ذلك:

١- الإسلام دين كامل. مطبوع^(٦).

٢- المثل العليا^(٧).

=سيدي ولد حبيب الشنقيطي- الناشر: محمد محمود الخضر القاضي- جزان،

توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، ط ١، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

(١) ينظر: الشنقيطي، ومنهجه في التفسير، ص ٣١٩.

(٢) العذب النمير: ٥١/١.

(٣) ينظر: آداب البحث والمناظرة: الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر

بالقاهرة، (د.ت).

(٤) العذب النمير: ٥٠/١.

(٥) المصدر نفسه: ٥١/١.

(٦) ينظر: الإسلام دين كامل: للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية

- القاهرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(٧) الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ص ٣٢٠.

- ٣- المصالح المرسلّة. مطبوع^(١).
- ٤- منهج التشريع الإسلامي وحكمته. مطبوع^(٢).
- ٥- الرق: أصله ومشروعيته. مطبوع^(٣).



-
- (١) ينظر: المصالح المرسلّة: محاضرة لفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.
- (٢) ينظر: منهج التشريع الإسلامي وحكمته: لفضيلة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط ١، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.
- (٣) ينظر: الرق (أصله ومشروعيته في الإسلام): لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (د.ت).



الفصل الأول

علم المعاني في تفسير أضواء البيان

علم المعاني من علوم البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة، والتحليل، وهو نوع أشار إليه المصنفون القدماء، وأهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم التّحوي، فالجاحظ يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخبر اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك»^(١). وكلام الجاحظ تلخيص موجز لعلم المعاني يعطي للدارس الخيوط الأولى للفهم الدقيق لعلم المعاني المعتمد على طريقة سبك الكلام.

وجاء الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فوضع نظرية النّظم التي قال فيها: «إنّ النّظم ليس شيئاً غير توخّي معاني النّحو وأحكامه فيما بين الكلم»^(٢)، فاللفظ المفرد لا يمكن أن يكون له قيمة معنوية، إلّا عن طريق النظم، يقول: «وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها»^(٣).

وفي نظرية النظم تعددت موضوعات علم المعاني مثل: الفصل والوصل،

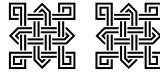
(١) الحيوان: ١٣١/٣-١٣٢، ودلائل الإعجاز، ص ١٩٨.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦.

وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإضمار، والخبر والإنشاء... وهذه تقسيمات السكاكي الذي جاء بعد الجرجاني. وهذه المباحث درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزنجشيري والقرطبي وأبي حيان ومفسرنا الشنقيطي الذي تناول تلك المباحث تارة بالتوسع وأخرى بالاختصار.

وعلم المعاني عرفه البلاغيون بقولهم: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال^(١). أي: هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتنكير والإظهار...، وغير ذلك، ويتبين كيف تكون تلك الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس. ولم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة وتلك الأحوال هي الهيئات والكيفيات.



(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ١٥٨، وخصائص التراكم دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص ٤٢.

المبحث الأول

الخبر

الخبر (لغة): خبرت بالأمر أي: علمته، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته، والخبر بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخير^(١).

الخبر (اصطلاحاً): تناول العلماء المتقدمون ذلك المصطلح البلاغي بالبحث والدراسة، ومن أقدم النحويين الذين عرفوا الخبر المبرد؛ إذ قال: «الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب»^(٢).

وأوضح ابن فارس الفرق في تعريف الخبر بين أهل اللغة وأهل البلاغة فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلا بوصفه إعلاماً للآخرين أمّا أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب يقول ابن فارس: «أمّا أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام... والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم»^(٣).

وعوّّل القزويني على آراء القدماء وبيّن معنى الصدق والكذب في الخبر فقال: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (خبر).

(٢) المقتضب: ٨٩/٣، وينظر: أضواء البيان، ص ١٩٤٩ من التتمة.

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٣٦١/١ .

للوّاقع، وكذّبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو المشهور وعليه التّأويل»^(١).
وقد استنبط البلاغيون من أسلوب الكلام ثلاثة أنواع للخبر فإن جاءت الجملة الخبريّة خالية من المؤكّدات سمي الخبر ابتدائيّاً، وإذا أكّدت الجملة بمؤكّد واحد كان الخبر طلبيّاً، وإن أكّدت الجملة بمؤكّدين أو أكثر كان الخبر إنكاريّاً. ويبدو أنّ علة التسمية نابعة من (حال المخاطب) إنّ كان خالي الذهن من الحكم أو (متردداً فيه) أو (منكراً له)، وعليه فالخبر ثلاثة أنواع^(٢):
١- الخبر الابتدائي: وهو الذي يكون خالياً من المؤكّدات؛ لأنّ المخاطب

خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢]، قال الشنقيطي: «إنّ اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف»^(٣).

٢- الخبر الطلبي: وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [مريم: من الآية ٧٥] وقال أيضاً: «إنّ صيغة الطلب في قوله: «فليمدد» يراد بها الإخبار عن سنة الله في الضالين، وعليه فالمعنى أنّ الله أجرى العادة بأنّ يمهّل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتى يرى ما يوعده وهو في غفلة وكفر وضلال... فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك، وأنّه مفعول لا محالة»^(٤).

(١) تلخيص المفتاح: ٧٨/١.

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب، ص ٣٨٠، وتهديب السعد: ١٤/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٩/٢.

(٣) أضواء البيان، ص ١٨٢٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨١٦.

٣- الخبر الإنكاري: وهو الذي ينكره إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، قال الشنقيطي: «والله تعالى في هذه الآية أكد إخباره بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، بأربعة أقسام، وباللام، وبقد، فهي ستة تأكيدات، وهذا التوكيد يوهم أن الإنسان منكر، لأنّ ربّه خلقه، وقد جاءت آيات أخرى صريحة في أنّ الكفار يقولون بأنّ الله هو خالقهم، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

والجواب من وجهين:

﴿الأول: هو ما حرره علماء البلاغة من أنّ المقر، إذا ظهرت عليه أمانة الإنكار، جعل كالمنكر، فأكد له الخبر، كقول حجل بن نضلة: جاء شقيق عارضاً رحمه إن بني عمك فيهم رماح فشقيق لا ينكر أن في بني عمه رماحاً، ولكنّ مجيئه عارضاً رحمه، أي: جاعلاً عرضه جهتهم من غير التفات أمانة، أنّه يعتقد أنّ لا رماح فيهم، فأكد له الخبر، فإذا حققت ذلك، فاعلم أنّ الكفار لما أنكروا البعث، ظهرت عليهم أمانة إنكار الإيجاد الأوّل، لأنّ من أقرّ بالأوّل لزمه الإقرار بالثاني، لأنّ الإعادة أيسر من البدء، فأكد لهم الإيجاد الأوّل.

ويوضح هذا أنّ الله بيّن أنّه المقصود بقوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾ [التين: ٧] أي: ما يحملك أيّها الإنسان على التكذيب بالبعث والجزاء، بعد علمك أنّ الله أوجدك أوّلاً، فمن أوجدك أوّلاً قادراً على أن يوجدك ثانياً. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: من الآية ٧٩]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: من الآية ١٠٤]. وقال:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: من الآية ٢٧]. وقال:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

والآيات بمثل هذا كثير، ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث، فقد نسي

إيجاده الأول، بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. وبقوله: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا

﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

وقال البعض: معنى فما يكذبك، فمن يقدر على تكذيبك يا نبي الله

بالثواب والعقاب بعد ما تبين له أنا خلقنا الإنسان على ما وصفنا، وهو في

دلالته على ما ذكرنا كالأول، فظهرت النكتة في جعل الابتدائي كالإنكاري.

﴿الوجه الثاني: أن القسم شامل لقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[التين: ٥] أي: إلى النار، وهم لا يصدقون بالنار بدليل قوله تعالى: ﴿هَذِهِ

النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٤].

وهذا الوجه في معنى قوله: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أصح من القول بأن معناه

الهرم، والرد إلى أرذل العمر لكون قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ

أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]، أظهر في الأول من الثاني. وإذا كان القسم شاملاً

للإنكاري، فلا إشكال؛ لأن التوكيد منصب على ذلك الإنكاري^(١).

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ٣٨٠-٣٨١ واضواء البيان : ١٩٤٧ .

□ أغراض الخبر^(١):

للجملة الخبرية غرضان أساسيان وُضعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما: فائدة الخبر: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأن المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قائم) لمن لا يعرف.

لازم الفائدة: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة أن المتكلم عالم نحو: أنت جئت: لمن قام بالمجيء.

ولكن الخبر يخرج عن ظاهر معناه إلى معانٍ باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغياً إلى الإنكار والطلب والتعظيم والتوبيخ... وعلى ذلك نتجه الآن لدراسة أغراض الخبر في تفسير أضواء البيان لمفسرنا الشنقيطي.

□ الخبر في تفسير أضواء البيان:

بحث المفسرون في القرآن الكريم عن الجملة الخبرية وأبرزوا أغراضها البلاغية في أحيان كثيرة، وكان هدفهم من ذلك ذكر الألوان البلاغية الكامنة في هذا الأسلوب المتنوع، لبيان المعاني القرآنية وإظهار إعجاز أسلوب القرآن الكريم، ومن تلك الأغراض التي ذكرها الشنقيطي:

١- الخبر للتحذير:

من أسلوب الخبر في القرآن الكريم ما يخرج إلى غرض التحذير كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٨/٢.

يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿سورة البقرة: ٢٢٠﴾، قال الشنقيطي: «أي: تعاملوهم كما تعاملون الإخوان، وهذا أعلى درجات الإحسان والمعروف، ولذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [سورة البقرة: من الآية ٢٢٠]، وفي تقديم ذكر المفسد على المصلح: إشعار لشدة التحذير من الإفساد في معاملته، ولأن محل التحذير في موطن آخر جعلهم بمرتلة الأولاد في قوله: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، أي: حتى في مخاطبتهم إياهم؛ لأنهم بمرتلة أولادهم...»^(١).

وذهب إلى هذا القول الزمخشري والقرطبي والبقاعي^(٢) وذكر البيضاوي وأبي السعود، أن المقام هذا مقام وعيد ووعد^(٣).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة الحشر: من الآية ٣١]، وقال الشنقيطي: «هذا المقام إخبار من الله عما أوقعه بهؤلاء الذين نسوا ما أمرهم فأنساهم، فأوقع عليهم النسيان لأنفسهم مجازاة لهم على أفعالهم فكان نسبته إلى الله وبإخبار من الله عين الحق، وهو أقوى من أسلوب المقابلة: نسو الله فنسيهم»^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ٢١٣٦.

(٢) ينظر: الكشف: ٢٨٧/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦٢/٣، ونظم الدرر: ٢٦٧/٣.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٥٠٦/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٢٠/١.

(٤) أضواء البيان، ص ١٨٨٢.

وذهب الخازن إلى أن الخبر للتهديد^(١).

٢- الخبر للتوبيخ والتقريع والإهانة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠] فقد تحدث الشنقيطي في هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أن المراد بها التوبيخ والتقريع والإهانة، فقال: «إن الكافر يقال له يوم القيامة: «ذلك بما قدمت يدك» الآية. لا يخفى أنه توبيخ، وتقريع، وإهانة له. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۖ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۖ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۖ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٧-٥٠] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۖ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۖ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۖ أَصَلُّوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٣-١٦] والآيات بمثل ذلك كثيرة^(٢). وذهب إلى هذا القول ابن كثير^(٣).

وذكر البيضاوي أن المقام هنا مقام التفات^(٤).

٣- الخبر للذم والوعيد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ﴾ [التوبة: من الآية ٦٩] فذكر الشنقيطي أن الخبر هنا

(١) ينظر: لباب التأويل: ٧/٧١.

(٢) أضواء البيان، ص ٩٨٠.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥/٣٩٩.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/١١٦، والبحر المديد: ٤/٥٩٣.

خرج لمعنى الدم والوعيد قائلاً: «والمقصود أن الله أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه كما استمتع الذين من قبله بخلاقهم، ويخوض كخوضهم، وأن لهم من الدم والوعيد للذين من قبلهم»^(١).
 وذهب إلى هذا القول أكثر المفسرين^(٢).

٤- الخبر للوعظ:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: من الآية ١١]، قال الشنقيطي: «ذكر الله -جل وعلا- في هذه الآية أن من أخبار المرسلين مع أممهم، وكيف نجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين عبرة لأولي الأبواب، أي: عظة لأهل العقول»^(٣).
 وهذا المعنى قال به القرطبي^(٤).

□ خروج الخبر إلى معنى الأمر أو (الإنشاء):

تناول الشنقيطي مسألة عطف الإنشاء على الخبر في ثنايا تفسيره، وبينها في أكثر من موضع فيه، وأورد قائلاً: «الخلاف بين العلماء في عطف الإنشاء على الخبر، أو الخبر على الإنشاء، فمنعه جماعة^(٥) من العلماء، والتحقيق الذي

(١) أضواء البيان، ص ٩٣٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/٨، وفتح القدير: ٣٩٨/٢، وأنوار الترتيل: ١٥٦/٣، ومدارك الترتيل: ٩٨/٢، ولباب التأويل: ١١٩/٣.

(٣) أضواء البيان، ص ٤٣١.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٧/٩.

(٥) وهم البانيون وابن مالك، لما بينهما من التنافي وعدم التناسب، وأجازه الصفار وسيبويه وغيرهم. ينظر: مغني اللبيب: ٦٢٧/١، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ١٦٤/١.

دلّ عليه القرآن العظيم واستقراء اللغة العربية، هو جواز عطف الخبر على الإنشاء أو الإنشاء على الخبر»^(١) مبيناً أنّ مجيء الإنشاء بصيغة الخبر أبلغ من مجيئه بصيغة الإنشاء قائلاً: «كما أنّ إيراد الإنشاء بصيغة الخبر أبلغ من إيراده بصفة الإنشاء كما هو مقرر في علم المعاني»^(٢).

كما ذكر أنّ الصيغة قد تكون خبرية، والمراد بها الإنشاء لأسباب منها: التّفاؤل: كقولك: رحم الله زيدا. فالصيغة خبرية، والمراد بها إنشاء الدعاء له بالرحمة^(٣).

إظهار تأكيد الإتيان بالفعل: وإلزام ذلك كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَقٍ يُجِيبُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١٠) ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الصف: من الآية ١٠-١١]، أي: آمنوا بالله بدليل جزم الفعل في قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: من الآية ٣١]، فهو مجزوم بالطلب المراد بالخبر في قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي: آمنوا بالله، يغفر لكم ذنوبكم كقوله: ﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: من الآية ١٤]، ونحو ذلك، فالمسوغ لكون الصفة في الآية خبرية، هو إظهار التأكيد، واللزوم في الإتيان بالإيمان فعبر عنه بصيغة الخبر، لإظهار أنّه يتأكد ويلزم أن يكون كالواقع بالفعل المخبر عن وقوعه^(٤). وذهب إلى هذا المعنى أكثر المفسرين^(٥).

(١) ضياء المسالك: ٢١٤/٣-٢٢٠، وينظر: التوضيح والتكميل: ١٨٩/٢، وينظر:

العذب النмир في مجالس الشنقيطي: ١٩٨٥/٥.

(٢) أضواء البيان، ص ١١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٢١٤/٣، وزاد المسير: ٢٥٤/٨، وفتح القدير: ٣٦١/٢ وغيرهم.

الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ٢٣٣]، وقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٨]، فالمراد الأمر بالإرضاع، والتربص وقد عبّر عنه بصيغة خبرية لما ذكرنا، كما هو معروف في فن المعاني^(١). وذهب إلى ذلك أكثر المفسرين^(٢).

النهى: كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧]، صيغة الخبر أريد به الإنشاء وهي ما صرح الله بالنهى، أي: فلا يرث ولا يفسق، ولا يجادل^(٣). وذهب إلى هذا المعنى أكثر العلماء^(٤).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، قال الشنقيطي: «وردت هذه الآية
الكريمة بلفظ الخبر والمراد بها الإنشاء، وهذا النهي البليغ، والزجر العظيم عن
موالاة أعداء الله، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى وأؤكد من إيراده بلفظ
الإنشاء، كما هو معلوم في محله، ومعنى قوله: ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾: أي: يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله»^(٥). وذهب إلى ذلك أبو
حيان والألوسي^(٦).

(١) أضواء البيان، ص ١١٠٠.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٥٢٤/١، ومدارك التنزيل: ١١٩/١، ولباب التأويل: ٢٣٩/١.

(٣) ينظر: أضواء البيان، ص ١١٠٠، وص ١١٠٤.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ومعالم التنزيل: ٥٩/١، وتفسير الجلالين: ٣٩/١، وزاد المسير: ٤٣٤/٣.

(٥) أضواء البيان، ص ١٨٤٩.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٢٣٧/٨، وروح المعاني: ٣٥/٢٨.

المبحث الثاني

الإنشاء

الإنشاء لغةً: هو الابتداء أو الخلق، أو الابتداء^(١).

الإنشاء اصطلاحاً: هو كلّ كلام لا يحتمل الصدق والكذب، لأنّه نابع من الشعور والإحساس الداخلي للإنسان، ويعتمد على دقات شعورية لا يمكن تكذيبها، وقد علّل البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء؛ لأنّه يدلّ على حدث لم يقع من قبل. وفرقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك.

فالقزويني يقول: «ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء؛ لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأوّل: الخبر، والثاني: الإنشاء»^(٢).

وينقسم الإنشاء على قسمين: طليبي وغير طليبي.

الطليبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، نحو: اعمل خيراً.

الإنشاء غير الطليبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً نحو: أكلت وشربت، ونعم الطالب زيد، ولإنشاء غير الطليبي صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم كنعم وبئس، وكفعلي التعجب وكأفعال المقاربة: عسى واخلولق، وكصيغ العقود: كـ(بعت واشتريت)، والقسم، واستبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني؛ لأنّ تلك الأساليب أخباراً نقلت إلى الإنشاء.

(١) لسان العرب: مادة (نشأ).

(٢) الإيضاح: ٨٥/١، والتلخيص: ١٥١، والطرز: ٦١/١.

يقول التفتازاني: «فالإنشاء إن لم يكن طلباً كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك، فلا يبحث عنها ههنا، لقلة المباحث البيانيّة المتعلقة بها أو لأنّ أكثرها في الأصل أخباراً نقلت إلى معنى الإنشاء»^(١).

والمراد بقوله: (أكثرها) أنّ أغلب الإنشاء غير الطلبي خبر، وهنا يستثنى أفعال الرجاء والقسم، ولقلة المعاني المجازية المتعلقة بها، بعكس مباحث (الإنشاء الطلبي).

ولنتعرف الآن على أنواع الإنشاء الواردة في تفسير الشنقيطي، التي سنتناولها بالدراسة والتحليل، فكلّما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسّر مقتضاها البلاغي، وما يخرج إليها من مقاصد بلاغية، وإليك التفصيل:

□ أقسام الإنشاء الطلبي:

﴿أولاً: الأمر:

الأمر في البلاغة طلب فعل الشّيء على وجه الاستعلاء. قال العلوي: «هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»^(٢).

وذكر الشنقيطي أنّ صيغ الأمر الصريحة الدالة عليه أربع:

﴿الأولى: فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾

[الإسراء: من الآية ٧٨].

(١) تهذيب السعد: ٢٩/٣.

(٢) الطراز: ٣٨١/٣.

﴿والثانية: الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوِّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

﴿والثالثة: اسم فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٥].

﴿والرابعة: المصدر النائب عن فعله كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: من الآية ٤٧] أي: فأضربوا رقابهم^(١).

وقد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغية تعرف دلالتها من سياق الكلام، ومن تلك الأغراض وأهمها عند الشنقيطي:

١- الأمر للإباحة:

إنَّ الإباحة تستعمل صيغة الأمر في مقام يتوهم فيه السامع حضر الشيء عليه^(٢)، ومن الأمر للإباحة قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤]، قال الشنقيطي: «والأمر في قوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ للإباحة، ولا يخفى ما تضمنه من الامتنان والاستدلال على استحقاق المنعم بذلك للعبادة وحده»^(٣). وإلى هذا المعنى ذهب أكثر علماء التفسير^(٤)، وقال ابن عاشور: «والأمر للإباحة مراد به المنَّة»^(٥).

(١) أضواء البيان، ص ١٠٥٢.

(٢) ينظر: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ص ٨٦.

(٣) أضواء البيان، ص ٨٤٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٠/١١، وفتح القدير: ٣٧١/٣، والبحر المحيط: ٢٣٤/٦.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣٤/١٦.

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأْمْسُوا فِي مَنَاكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: من الآية ١٥]،: «والأمر في قوله تعالى: ﴿فَأْمْسُوا فِي مَنَاكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ للإباحة. ولكن التقديم لهذا الأمر بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [الملك: من الآية ١٥] فيه امتنان من الله تعالى على خلقه»^(١)، وعلماء التفسير تطرقوا إلى هذا الأمر، فمنهم من حمّله على الإنعام^(٢). ومنهم من حمّله على الأنعام والتذكير^(٣)، وحمّله ابن عاشور على الإدامة والامتنان^(٤)، وذهب القرطبي إلى أنّه على الإباحة والامتنان^(٥).

٢- الأمر للنّدى والإرشاد:

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]: «ظاهر هذه الآية الكريمة أنّ كتابة الدين واجبة، لأنّ الأمر من الله يدلّ على الوجوب، ولكنّه أشار إلى أنّه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣]، لأنّ الرهن لا يجب إجماعاً، وهو بدل من الكتابة عند تعذّرها في الآية فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً، وصرح بعدم الوجوب بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ

(١) أضواء البيان، ص ١٩٧٢ من التّمة.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٩٧/٤.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التّزيل: ١٧٤/٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٢٩.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٥/١٨.

﴿أَمْنَتُهُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣]، فالتحقيق أنَّ الأمر في قوله: «فاكتبوه» للندب والإرشاد، لأنَّ لبَّ الدين أن يهبه ويتركه إجماعاً، فالندب إلى الكتابة فيه إنّما هو على جهة الحيلة للناس»^(١)، وهذا القول هو الصّحيح وعليه ذهب أكثر العلماء^(٢)، وذكر ابن كثير أنّها دالة على الإرشاد فقط^(٣). وذهب الطبري وأبو حيان إلى الوجوب في الأمر^(٤).

٣- الأمر للتوبيخ:

ذكر الشنقيطي في تفسيره أمثلة جاءت بلفظ الأمر وخرجت إلى التوبيخ والتقريع، وفسرها بأسلوب بلاغي واضح، من ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الكهف: من الآية ٥٢] قال الشنقيطي: «أي: واذكر يوم يقول الله - جل وعلا- للمشركين الذين كانوا يشركون معه الآلهة والأنناد من الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله توبيخاً لهم وتقريعاً: نادوا شركائي الذين زعتم أنهم شركاء معي»^(٥)، وذهب الألوسي إلى أنَّ الأمر للتوبيخ والتعجيز^(٦).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [النساء: من

(١) أضواء البيان، ص ١٢٩.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان: ٢٢٩/١، ومعاني القرآن: ٣١٢/١، ومدارك التزيل: ١٤٠/١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٤٦/١.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٤٧/٦، والبحر المحيط: ٣٥٩/٢.

(٥) أضواء البيان، ص ٧١٤.

(٦) ينظر: روح المعاني: ٢٩٨، ٧/١٥.

الآية ٥٩]، قال الشنقيطي: «لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد أوضح هذا المفهوم موجهاً للمتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»^(١) ولم أجد من المفسرين من قال بهذا المعنى. وانظر أمثلة أخرى في تفسيره^(٢).

٤- الأمر للتهديد:

أي: التخويف وهو أعم من الإنذار؛ لأنَّ إِبلاغ مع التخويف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلِحُّونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال الشنقيطي: «صيغة الأمر في قوله: «وذروا» فإنَّها للتهديد»^(٣): وهو بهذا يوافق أقوال العلماء من المفسرين وغيرهم^(٤)، وذهب القرطبي: «إنَّ بمعنى الوعيد»^(٥).

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٣]، قال الشنقيطي: «هدد الله الكفار في هذه الآية الكريمة بأمر نبيه ﷺ أن يتركهم يأكلوا ويتمتعون فسوف يعلمون حقيقة ما يؤول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم وهددهم هذا النوع من التهديد في مواضع أخر كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى

(١) أضواء البيان، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: ص ٨٧٩ وص ١٣٨٤.

(٣) أضواء البيان، ص ٣٣٨.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٣١/٦، وتفسير القرآن العظيم: ١٣٠/٤، وأنوار التنزيل:

٧٧/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٩٦/٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/٧.

النَّارِ ﴿إِبْرَاهِيمَ: ٣٠﴾، وقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]، وقوله: ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]، وقوله: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقرر في فن المعاني وفي مبحث الأمر عند الأصوليين أنَّ من المعاني التي تأتي لها صيغة (أفعل) للتهديد^(١)، وهذا ما عليه أكثر العلماء^(٢).

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر ذلك النوع في تفسيره^(٣).

٥- الأمر للتعجيز:

ويأتي الأمر على سبيل التعجيز بأمر الخاطب على فعل أمر لا يمكن أن يصل إليه نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، قال الشنقيطي: «والمعنى أنه وإن غاظه نصر الله لنبيه فليس له حيلة، ولا قدرة على منع النصر، لأنه لا يستطيع الارتقاء إلى السماء ومنع نزول النصر منها عليه ﷺ، وعلى هذا فصيغة الأمر في قوله: «فليمدد» وقوله: «ثم ليقطع» للتعجيز، ثم لينظر ذلك الحاسد العاجز عن قطع النصر عنه ﷺ هل يذهب كيده إذا بلغ غاية جهده في كيد

(١) أضواء البيان، ص ٤٤٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٩/٤، جامع البيان: ١٣١/٦، والجواهر الحسان: ٢/٢٨٩، وتفسير القرآن العظيم: ٧١٩/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٥/٧، وفتح القدير: ٣/١٢٣، وإرشاد العقل السليم: ١٤٨/٣، وروح المعاني: ١٢١/٩، وزاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: ص ١٢٧، ٥١٧، وص ٦٤٧، وص ٦٩٩، وص ١٢٥١ -

النبي ﷺ ما يغيظه من نصر الله لنبيه ﷺ»^(١)، وإلى هذا ذهب ابن عاشور^(٢)، وقال ابن كثير: إن الأمر هنا: (للتهكم)^(٣).

٦- الأمر للوعيد:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، فقد ذكر الشنقيطي في تفسير هذه الآية الكريمة معانٍ متعددة مرجحاً واحداً منها، قائلاً: «في معنى قوله: «أمرنا مترفيها» في هذه الآية الكريمة ثلاثة مذاهب معروفة عند علماء التفسير: الأول: وهو الصواب الذي يشهد له القرآن، وعليه جمهور العلماء أن الأمر في قوله: «أمرنا» الأمر الذي هو ضد النهي... والمعنى: «أمرنا مترفيها» بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله وأتباعهم فيما جاءوا به «ففسقوا» أي: خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله «فحقّ عليها القول» أي: وجب الوعيد «فدمرناها تدميراً» أي: أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً، وأكد فعل التدمير بمصدر للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم»^(٤). وأشار ابن عاشور إلى أن: «هذه الآية تهديد للمشركين من أهل مكة وتعليم للمسلمين»^(٥).

٧- الأمر للتعجب:

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ

(١) أضواء البيان، ص ٩٨٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢٨٣/٣.

(٤) أضواء البيان، ص ٥٩٨.

(٥) التحرير والتنوير: ٤٣/١٤.

أَنْظُرْ أَنْتَ يُؤْفَكُونَ ﴿المائدة: ٧٥﴾: «قال تعالى: «انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون، على سبيل التعجب من أمرهم، كيف يؤفكون إلى هذا الكفر مع وضوح أدلة التوحيد؟!»^(١). وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء^(٢)، وقال النسفي: «كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان، وهذا تعجيب من الله في ذهابه عن الفرق بين الرب والمربوب»^(٣).

٨- الأمر للتكوين:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ذكر ابن فارس: «أنه لا يكون إلا من الله وَجَلَّ»^(٤)، وعلى ذلك فإنَّ حد التكوين ألا يكون إلا من عند الله وَجَلَّ.

قال الشنقيطي: «ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه لا يتعامل على قدرته شيء، وإذا يقول للشيء «كن» فيكون بلا تأخير وذلك أن الكفار لما «أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت»، ورد الله عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: من الآية ٣٨] بين أنه قادر على كل شيء، وأنه كلما قال لشيء «كن» كان»^(٥).

ونجد إنَّ الشنقيطي يُفصل القول في هذه الآية قائلاً: «وبين أنه لا يحتاج

(١) أضواء البيان، ص ٢٤٨.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٩٣/٢، وأنوار التنزيل: ٣٥٤/٢، وإرشاد العقل السليم:

٦٠/٤، وروح المعاني: ٢٠٩/٦، والتحرير والتنوير: ١٧٦/٥.

(٣) مدارك التنزيل: ٢٩٦/١.

(٤) الصاحبي، ص ١٨٥، ومعتزك الأقران: ٤٤٢/١.

(٥) أضواء البيان، ص ٥١٢.

أن يكرر قوله: «كن» بل إذا قال للشيء «كن» مرة واحدة، كان في أسرع من لمح البصر، في قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وعبر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشيء، لأنّ تحقق وقوعه كالوقوع بالفعل، فلا تنافي الآية إطلاق الشيء على خصوص الموجود دون المعدوم، لأنّه لما سبق في علم الله أنّه لا يوجد ذلك الشيء، وأنّه يقول له كُن فيكون، كان تحقق وقوعه بمثالة وقوعه»^(١).

﴿ثانياً: النهي﴾

وهو من أقسام الإنشاء الطلبي، وهو طلب الكفّ عن الفعل، استعلاء، قال السكاكي: «لنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمل (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشّرط المذكور فإنّ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلّا أفاد طلب الترك فحسب»^(٢). فالوجوب والإلزام شرطان يلازمان أسلوب النهي ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما ينهى عنه، أمّا وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أنّ لكلّ منهما صيغة خاصة به. «الأمر دال على الطلب، والنهي دال على المنع، وأنّ الأمر لابدّ من إرادة مأموره، وأنّ النهي لابدّ فيه من كراهية منهية»^(٣).

وقد يخرج النهي إلى معانٍ مجازية كثيرة تعرف من السياق وقرائن الأحوال، ومن الأغراض الواردة عن الشنقيطي:

(١) أضواء البيان، ص ٥١٣.

(٢) مفتاح العلوم، ص ١٥٢-١٥٣، وينظر: الإيضاح، ص ٢٤٤، وتهذيب السعد: ٤٣/٣.

(٣) الطراز: ٢٨٥/٣.

١- النهي لبيان العاقبة والمجازاة:

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٩]، أي: عاقبة الحياة والموت، قال الشنقيطي: «نهى الله تبارك وتعالى في هذه الآية عن ظن الموت بالشهداء، وصرح بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإنهم فرحون بما آتاهم الله من فضله، يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولم يبين هنا هل حياتهم تلك في البرزخ يدرك أهل الدنيا حقيقتها أو لا؟ ولكنه بين في سورة البقرة أنهم لا يدركونها بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]»^(١).

وذهب الزمخشري إلى الجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وفضل حالهم^(٢)، وقرّر القرطبي لفظ الثواب، بقوله: «هذه الآية تدلّ على عظيم ثواب القتل في سبيل الله والشهادة فيه»^(٣).

٢- النهي للاحتقار والتقليل:

ويأتي النهي للاحتقار والتقليل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾^(٨٧) لَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿[الحجر: ٨٧-٨٨]، وهذا النهي جاء لتوضيح فكرة وهي أن زخارف الدنيا قليلة حقيرة أمام القرآن وتعاليمه، قال

(١) أضواء البيان، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٨٠/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٦/٤.

الشنقيطي: «لما بين تعالى أنه أتى النبي ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ عند الله، فهاه أن يمدّ عينيه إلى متاع الدنيا الذي متّع به الكفار، لأنّ من أعطاه ربّه -جلّ وعلا- النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخس، لاسيّما إذا كان صاحبه إنّما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار، وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله في (طه): ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١) وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، والمراد بالأزواج هنا: الأحناف من الذين متّعهم الله بالدنيا»^(١).

وذهب الزمخشري بالقول: «وقد أوتيت النعمة العظمى التي كلّ نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم»^(٢)، وتابعه القرطبي بالقول: «لا تمدن عينيك، قد أغنيتك بالقرآن عما في أيدي الناس،... حتى يطمع بصره إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى»^(٣).

وقال أبو حيان في تفسيره الآية: «ولما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله ﷺ، من إتيانه ما آتاه، فهاه، وقد قلنا إنّ النهي لا يقتضي الملازمة ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدنيا هذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ فالمعنى فهي أمته عن ذلك؛ لأنّ من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتنال تكاليفه

(١) أضواء البيان، ص ٤٨١.

(٢) الكشف: ٥٤٩/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٥١/١٠.

وفهم معانيه»^(١).

نفى أبو حيان الملابس والمقاربة في أسلوب النهي، إذ إنّ الخطاب موجه للرسول ﷺ والمراد به أمة الإسلام؛ لأنّ النهي قد يذكر للجزء ويراد به الكلّ، فعلى كلّ مسلم ألاّ يمدّ عينيه إلى ما استحسن من مفاتن الدّنيا، لأنّ القرآن يغني عن كلّ متعة وزخرف للدّنيا، ومّا سبق نجد إنّ أبا حيان تفرد عن باقي المفسرين في فهمه لصيغة التّهي التي تتعد عن الملابس للفرد وتتفق مع العمومية لكلّ مسلك ولكنّ أغلب المفسرين لم يذكروا أنّ النهي خرج مجازاً إلى الاحتقار والتقليل، وإنّما فسروا معنى التحقير لمفاتن الدّنيا أمام عظمة القرآن.

٣- التّهي للإهانة:

وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فصيغة النهي «ولا تكلمون» خرجت مجازاً إلى الإهانة؛ لأنّ أولئك الكفرة يحاولون أن يتكلموا اعتذاراً وتوبة وغفراناً بعد دعّهم في النّار، فيُهوّن كلامهم على ربّ العالمين، قال الشنقيطي: «وأنّ الله يجيبهم بقوله: «احسنوا فيها ولا تكلمون» أي: امكثوا فيها خاسئين، أي: أذلاء صاغرين حقيرين، لأنّ لفظة أحسأ إنّما تقال للحقير الذليل، كالكلب ونحوه، فقوله: «احسنوا» أي: ذلوا فيها ماكثين في الصّغار والهوان»^(٢)، فالشنقيطي يقرّر النهي للإهانة والزجر وإنّ لم يذكر الإهانة ولكنّ سياق كلامه للتفسير يوضح خروج النهي للإهانة.

(١) البحر المحيط: ٤٥٣/٥.

(٢) أضواء البيان، ص ١٢٨٢.

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي والقرطبي^(١).

واقصر ابن جزى على الإهانة في فعل الأمر والتيئيس في أسلوب النهي فقال: «اخسأوا» كلمة تستعمل في زجر الكلام، ففيها إهانة وإبعاد^(٢) وكذلك فعل أبو حيان فاقصر على التيئيس والتويخ فقال: «وتنطبق عليهم جهنم ويقع اليأس...»^(٣).

﴿ثالثاً: الاستفهام﴾

الفهم (لغة): معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء، عقلته وعرفته، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً^(٤).

والاستفهام (بلاغياً): طلب العلم بالشيء المجهول وهو من صيغ الإنشاء الطلي قال السكاكي: «والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأوّل هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»^(٥).

فإذا كان التردد في الوقوع أو اللاوقوع فهو التصديق وإذا كان التردد

(١) ينظر: الكشف: ٢٠٧/٣، وأنوار التنزيل: ١٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٢/١٢.

(٢) التسهيل: ٥٧/٣.

(٣) البحر المحيط: ٣٨٩/٦.

(٤) لسان العرب، مادة (فهم).

(٥) مفتاح العلوم، ص ١٤٦.

في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا: «أقام زيد» يكون الاستفهام للتصديق أي: لوقوع الفعل أمّا إذا قلنا: «أزيد قام أم عمرو؟» يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أنّ كلّ ما صلح أن يؤتى بعده بأمر المتصلة فهو استفهام عن التصور.

والاستفهام ألفاظ موضوعة له^(١) وهي (الهمزة) و(هل)، و(ما)، و(من)، و(أي)، و(لم)، و(كيف)، و(أين) و(أنى)، و(متى)، و(أيان).

وقد يخرج الاستفهام مجازياً إلى أغراض بلاغية تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ قال القزويني: «ثمّ هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»^(٢).

وأهم هذه الأغراض الواردة عند الشنقيطي وأشهرها:

١- الاستفهام للتعجب:

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ [الحجر: من الآية ٥٤]: «الظاهر أنّ استفهام نبي الله إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- للملائكة بقوله: ﴿فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى، ويدلّ على ذلك أنّه تعالى ذكر أنّ ما وقع له نظيره لامرأته حيث قالت: ﴿أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: من الآية ٧٣] وقد بيّن تعالى أنّ ذلك الاستفهام لعجبها من ذلك الأمر الخارق للعادة في قوله: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: من الآية ٧٣]»^(٣).

(١) ينظر: الإيضاح: ٢٢٨/١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٤/١.

(٣) أضواء البيان، ص ٤٦٣.

وهذا التوجيه للمعنى موافق لما ذهب إليه أكثر أصحاب التفسير والبلاغة، كابن جرير الطبري بقوله: «قال: عجب من كبره، وكبر امرأته»^(١)، وحمل أبو حيان هذا الاستفهام على التأكيد والاستبعاد والتعجب^(٢).

٢ - الاستفهام للتحقير:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، قال الشنقيطي معلقاً على قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾: «أي: يعيبها وينفي أنها تشفع لكم وتقربكم إلى الله زلفى... والاستفهام في قوله: «أهذا الذي يذكر آلهتكم» قال فيه أبو حيان في البحر: إنه للإنكار والتعجب.

والذي يظهر لي أنهم يريدون بالاستفهام المذكور التحقير بالنبي ﷺ كما تدلّ عليه قرينة قوله: «إن يتخذونك إلا هزوا». وقد تقرّر في فن المعاني أنّ من الأغراض التي تؤدي بالاستفهام للتحقير»^(٣).

وهذا المعنى الذي ذكره الشنقيطي أشار إليه بعض المفسرين^(٤)، وذهب

(١) جامع البيان: ١١٣/١٧، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٥/١٠، معالم التنزيل: ٣٨٤/٤، وفتح القدير: ١٨٣/٤، ونظم الدرر: ٤٢٠/٤، والتفسير الكبير: ١٥٦/١٩.

(٢) البحر المحيط: ٤٤٦/٥.

(٣) أضواء البيان، ص ٩٠٩.

(٤) ينظر: زاد المسير: ٣٣٨/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٢٠/٦، ومدارك التنزيل: ٣٩٧/٤.

الزخشري إلى أنّ المعنى هنا هو: «استفهام إنكار»^(١). وذكر الألوسي أنّ:
«الاستفهام للإنكار والتعجب»^(٢). أما الشوكاني فذهب إلى أنّ المعنى هو:
«التذكير بالعيوب»^(٣).

٣- الاستفهام الإنكاري:

تناول الشنقيطي في تفسيره ذلك الغرض البلاغي، وعرض له الكثير من
الأمثلة منها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ
لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، قال الشنقيطي: «الهمزة في قوله:
«أفأصفاكم ربكم بالبنين» للإنكار، ومعنى الآية أفحصكم ربكم على وجه
الخصوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه،
واتخذ لنفسه أدونهم وهي البنات!»^(٤).

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين وعلماء البلاغة^(٥)، وذكر الألوسي
أنّ المعنى هنا: إنكار وتعجب^(٦).

وتنظر أمثلة أخرى في تفسيره^(٧).

(١) الكشف: ١١٧/٣.

(٢) روح المعاني: ٤٧/١٧٠.

(٣) فتح القدير: ٤٠٧/٣.

(٤) أضواء البيان، ص ٦٤١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٧/١٠، وزاد المسير: ١٧٧/٤، والتفسير الكبير:
١٧٠/٢٠.

(٦) روح المعاني: ١٦٥/٢٢.

(٧) ينظر: على سبيل التمثيل، ص ٦٤٥، و ٨٧٤.

وجاء الاستفهام الإنكاري عند الشنقيطي على ثلاثة أنواع:

أ - الاستفهام الإنكاري التوبيخي:

والتوبيخ يأتي بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢]، قال الشنقيطي: «الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ﴾ للإنكار والتوبيخ»^(١)، وإلى ذلك ذهب الرازي بقوله: «استفهام على سبيل التوبيخ»^(٢)، وتبعه الألوسي بقوله: «والفاء للعطف على مقدار يفصح عنه الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً»^(٣).

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: من الآية ٥٠]، قال الشنقيطي: «الهمزة في قوله: «أَفَتَتَّخِذُونَهُ» للإنكار والتوبيخ... أي: أبعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان، وشدة العداوة لكم ولأبويكم -آدم وحواء- تتخذونه وذريته أولياء من دون خالقكم جلّ وعلا بئس للظالمين بدلاً من الله إبليس وذريته»^(٤)، وإلى هذا ذهب ابن عاشور^(٥).

قال الزمخشري: «أَفَتَتَّخِذُونَهُ» الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل: «أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني...»^(٦).

(١) أضواء البيان، ص ٧٤٢.

(٢) التفسير الكبير: ١٤٧/٢١.

(٣) روح المعاني: ٤٥/١٦.

(٤) أضواء البيان، ص ٧١٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٣/١٥.

(٦) الكشف: ٦٧٩/٢.

وتنظر أمثلة أخرى من تفسيره^(١).

ب- الاستفهام الإنكاري بمعنى النفي:

كقوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةً إِنَّ يُرِيدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]، قال الشنقيطي: «الاستفهام في قوله تعالى: «أَتَتَّخِذُ»: للإنكار، وهو مضمن معنى النفي: أي: لا أعبد من دون الله معبودات، إن أرادني الله بضر لا تقدر على دفعه عني، ولا تقرر أن تنقذني من كرب»^(٢).

وإلى هذا ذهب الألوسي قائلاً: «إنكار ونفي لاتخاذ جنس الآلهة على الإطلاق»^(٣)، فيما اقتصر السيوطي على معنى النفي^(٤)، وقرّر ابن كثير أن الاستفهام هذا: «استفهام إنكار وتوبيخ وتقرّيع»^(٥)، فيما اقتصر البغوي على معنى الإنكار وتابعه الشوكاني^(٦).

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [البقرة: من الآية ١١٤]، قال الشنقيطي: «الاستفهام في هذه الآية إنكاري ومعناه النفي، فالمعنى: ألاّ أحد أظلم ممن منع مساجد الله... وما ذكره بعض المتأخرين من أن الاستفهام في قوله: «ومن أظلم»

(١) ينظر: على سبيل التمثيل: ص ٥٦٩، ١٦٢٥.

(٢) أضواء البيان، ص ١٥٢٩.

(٣) روح المعاني: ٢٢/٢٢٧.

(٤) تفسير الجلالين: ١/٥٨١.

(٥) القرآن العظيم: ٦/٥٧١.

(٦) ينظر: معالم التنزيل: ٧/١٤، وفتح القدير: ٥/٣٥٤.

المقصود منه التهويل والتفضيل من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره، كما ذكره عنه صاحب الإِتقان، يظهر ضعفه؛ لأنّه خلاف ظاهر القرآن»^(١).

ج- الاستفهام الإنكاري التقريري:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: من الآية ٤١]، قال الشنقيطي في معرض تفسيره لهذه الآية ناقلاً قول أبي حيان: «والاستفهام في قوله تعالى: «من يكلؤكم» قال أبو حيان في البحر: هو استفهام تقريع وتوبيخ»^(٢)، ثم نراه يُفصل في هذه الآية قائلاً ما نصه: «وهو عندي يحتمل الإنكار والتقريع، فوجه كونه إنكارياً أنّ المعنى لا كالأى لكم يحفظكم من عذاب الله البتة إلا الله تعالى، أي: فكيف تعبدون غيره. ووجه كونه تقريراً أنّهم إذا قيل لهم: من يكلؤكم؟ اضطروا إلى أن يقرّوا بأنّ الذي يكلؤهم هو الله، لأنّهم يعلمون أنّه لا نافع ولا ضار إلاّ هو تعالى، ولذلك يخلصون له الدعاء عند الشدائد والكروب، ولا يدعون معه غيره، فإذا أقرّوا بذلك توجه إليهم التوبيخ والتقريع، كيف يصرفون حقوق الذي يحفظهم بالليل والنهار إلى ما لا ينفع ولا يضر»^(٣).

وملاحظ أنّ هذا التفصيل من الشنقيطي لم يذكره أكثر العلماء، فذكر الألوسي إلى أنّه سؤال تقريع وتذنيب^(٤)، والبقاعي إلى أنّه

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ٢٢٦، وينظر: الإِتقان: ٧٨/٣-٧٩.

(٢) أضواء البيان، ص ٩١٣ وينظر: البحر المحيط: ٢٦٩/٤.

(٣) أضواء البيان: ص ٩١٣-٩١٤.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٥١/١٧.

توبيخ^(١)، وابن عاشور أنّه إنكار وتقرّيع^(٢). في حين ذهب الماوردي إلى أنّ الاستفهام هذا بمعنى النفي قائلاً: «ومخرج اللفظ مخرج الاستفهام، والمراد به النفي»^(٣).

٤ - الاستفهام التقريري:

وذكره الجرجاني والقزويني وابن هشام^(٤). ومعناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر في نفسه ووجدانه وفكره. ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٣]، قال الشنقيطي مفصلاً في هذا الموضوع ما نصه: «هذا النوع من الاستفهام هو الاستفهام المسمى بـ (استفهام التقرير) والمقصود من استفهام التقرير ليس السؤال عن شيء يفهمه السائل، بل المراد به: حمل المُخاطَب على أن يُقر فيقول (بلى) ولا يكون استفهام التقرير إلا في شيء لا يمكن أن يُنازع فيه، وإن كان يمكن فيه النزاع فالمخاطب يَعْرِفُ المخاطبُ أنّه لا ينازع في ذلك الشيء، وأنّه مُقَرَّرٌ به.

فمثال الذي لا يمكن أن يكون فيه نزاع قوله هنا: «أليس الله بأعلم بالشاكرين» الجواب: بلى: هو الله أعلم ولا يمكن جواب غير هذا لأحد.

أما الجواب الذي يمكن الخلاف فيه، إلّا أن المخاطب يعلم أن المخاطب

(١) ينظر: نظم الدرر: ٣٠٣/٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٤/١٧.

(٣) النكت والعيون: ٤٤٨/٣.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة، ص ٢٨١، ودلائل الإعجاز، ص ١٤٩، والإيضاح: ٢٣٥/١،

والمغني: ٢٤/١.

مُقرّ به ويكفيه ذلك عن غيره، فكقول جرير يمدح عبد الملك بن مروان^(١):
 أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ
 فهو يعلم أنّ المدح يعتقد هكذا، وإن كان غيره قد يخالف ويقول:
 ليسوا أندى الناس بطون راح»^(٢).

وقال البغوي في تفسيره: «فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
 بِالشَّاكِرِينَ﴾ فهو جواب لقوله: ﴿أَهْتُولَاءَ مَنْ أَلَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ فهو
 استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله ^{وَعَلَّكَ}»^(٣).
 وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين وعلماء البلاغة^(٤).
 وتنظر أمثلة أخرى من تفسيره^(٥).

٥- الاستفهام للتوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ آئِنَ شُرَكَاءِكَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾
 [النحل: من الآية ٢٧]، قال الشنقيطي: «ذكر -جلّ وعلا- في هذه الآية
 الكريمة أنّه يسأل المشركين يوم القيامة سؤال توبيخ، فيقول لهم: أين

(١) ديوان جرير، ص ٩٣.

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي: ٢٨٥/١-٢٨٦، وينظر: الخصائص:
 ٤٦٣/٢، ٢٦٩/٣، ومغني اللبيب: ١٦/١.

(٣) معالم التنزيل: ١٤٧/٣.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٣٨٨/١١، وزاد المسير: ٣٤٣/٢، والبحر المحيط: ١٤٢/٤،
 وروح المعاني: ١٦٣/٧، وفتح القدير: ١٢٣/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٤٠/٣،
 والتحرير والتنوير: ١٢٣/٦.

(٥) ينظر: على سبيل التمثيل، ص ٨١٤، و١٨٤٤.

المعبودات التي كنتم تخاصمون رسلي وأتباعهم بسببها»^(١).

قال القرطبي: «ويقول ابن شركائي» أي: بزعمكم وفي دعواكم، أي: الآلهة التي عبدتم دوني، وهو سؤال توبيخ»^(٢).

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]، قال الشنقيطي: «ومقصوده بسؤالهم عن أعمالهم قوله تعالى: ﴿أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والسؤال المذكور سؤال توبيخ وتقريع، فقد وبخهم تعالى فيه على فساد الاعتقاد، وفساد الأعمال»^(٣). وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان^(٤)، وقال السمرقندي: «قال الله تعالى لهم أكذبتهم بمحمد ﷺ والقرآن؟ اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير، يعني: قد كذبتهم بآياتنا»^(٥)، وذهب البيضاوي إلى معنى التبكيت وتابعه الزمخشري^(٦).

٦- الاستفهام للنفي:

كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]، قال الشنقيطي: «والاستفهام في قوله: «هل» يراد به النفي، والمعنى: أهلكنا كثيراً من الأمم الماضية فما ترى منهم

(١) أضواء البيان، ص ٥٠٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/١٠، وينظر: أنوار التنزيل: ٣/٣٩٣، ومدارك التنزيل: ١٥٧/٢.

(٣) أضواء البيان، ص ١٤٥٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٩٢/٧.

(٥) بحر العلوم: ٣/٣٠٣.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/٢٧٩، والكشاف: ٢/٥٦٢.

من أحد ولا تسمع لهم صوتاً»^(١).

قال الآلوسي: «والاستفهام في معنى النفي، أي: ما تشعر بأحد منهم»^(٢)، وذهب ابن عاشور إلى معنى الإنكار^(٣).

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٨]، قال الشنقيطي: «هذا استفهام معناه النفي، والمعنى: أن هؤلاء الكفار والذين يكذبون بآيات الله ويصرفون عنها، يكذبون بها ويصرفون الناس عنها، ويحملونهم على الإعراض عنها»^(٤).

قال الرازي: «ومعنى ينظرون ينتظرون و(هل) استفهام معناه النفي»^(٥). أمّا ابن كثير فقد قرر أن الاستفهام هنا بمعنى الوعيد^(٦). وذهب ابن عاشور إلى أن الاستفهام «إنكار مشوب بتهكم»^(٧).

٧- استفهام بمعنى الأمر:

ويأتي الاستفهام بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: من الآية ٩١]، قال الشنقيطي: «وقد تقرّر في فن المعاني أن من معاني صيغ الاستفهام التي ترد لها الأمر، كقوله: «فهل أنتم منتهون» أي: انتهوا»^(٨).

(١) أضواء البيان، ص ٨٣٢.

(٢) روح المعاني: ١٤٤/١٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٠/١٦.

(٤) العذب النمير: ٨٩٣/٣-٨٩٤.

(٥) التفسير الكبير: ٦/١٤.

(٦) ينظر: القرآن العظيم: ٣/٣٧١.

(٧) التحرير والتنوير: ٨٦/٢٦٠.

(٨) ينظر: أضواء البيان، ص ٥٢٧.

قال الآلوسي: «إيداناً بأنّ الأمر في الردع والمنع قد بلغ الغاية وأنّ الأعذار قد انقطعت بالكلية»^(١). وإلى ذلك ذهب البغوي وأبو حيان^(٢). وذهب ابن كثير إلى أنّ «هذا تهديد وترهيب»^(٣)، أمّا القرطبي فقال: إنّ «تحذير»^(٤)، وقال الرازي: «واعلم أنّ هذا وإن كان استفهاماً في الظاهر إلّا أنّ المراد منه هو النهي في الحقيقة»^(٥).

وقال البيضاوي: «فهل أنتم منتهون» إيداناً بأنّ الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأنّ الأعذار قد انقطعت»^(٦). وذهب ابن عطية إلى معنى «الوعيد»^(٧).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: من الآية ٨٠]، قال الشنقيطي: «الظاهر فيه أنّ صيغة الاستفهام هنا يراد بها الأمر»^(٨). وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين^(٩)، قال البيضاوي: «أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتفريع»^(١٠).

(١) روح المعاني: ١٧/٧.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٩٤/٣، والبحر المحيط: ٥٤٥/٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ١٧٩/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٩/٢.

(٥) التفسير الكبير: ٦٨/١٢.

(٦) أنوار التنزيل: ٣٦٣/٢.

(٧) المحرر الوجيز: ٢٧٣/٢.

(٨) أضواء البيان، ص ٩٥٥.

(٩) ينظر: البحر المحيط: ٣٠٨/٦، ومعالم التنزيل: ٩٤/٣، ومدارك التنزيل: ٣٣٥/٢.

(١٠) أنوار التنزيل: ١٠٣/٤.

﴿رابعاً: النداء﴾

النداء لغوياً: النداء والنداء: صوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداةً ونداءً أي: صاح به^(١).

وقد أدخل البلاغيون النداء في صيغ الإنشاء الطلبي وهو «طلب الإقبال بحرف نائب مناب (ادعو) لفظاً أو تقديرًا»^(٢).

وله حروف معينة، قال فيها ابن عقيل: فإن كان المنادى بعيداً فله من حروف النداء: يا، وأي، وآ، وهيا، وإن كان قريباً فله الهمزة، وإن كان مندوباً -وهو المتفجع أو المتوجع عنه- فله: وا^(٣):

ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون. وتناول الشنقيطي المعاني المجازية للنداء في تفسيره وذكر الأغراض البلاغية لأسلوب النداء ومنها:

١- النداء للتنبيه:

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، قال الشنقيطي: «... وقرأ هذا الحرف الكسائي: «ألا يسجدوا» بتخفيف اللام من قوله: (ألا)، وعلى قراءة الكسائي هذه، فلفظة (ألا) حرف استفتاح، وتنبيه و(يا) حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره (ألا يا هؤلاء اسجدوا)، واسجدوا فعل أمر... واعلم أن جمهور أهل العلم على ما ذكرنا في قراءة الكسائي من أن لفظة (ألا)

(١) لسان العرب، مادة (ندى).

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٥/١، وتهذيب السعد: ٤٤/٣، والإتقان: ٢٠٩/٢.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٥٥/٣-٢٥٦.

للاستفتاح والتنبيه، وأن (يا) حرف نداء حذف منه الألف في الخط،
واسجدوا فعل أمر»^(١).

وذهب الزمخشري بالقول: «(ألاً) للتنبيه ويا حرف ومناداة
محذوف..»^(٢)، وتابعه القرطبي؛ إذ ذكر رأي الجوهري القائل إن (يا) للتنبيه
على قراءة التخفيف في (ألاً) ثُمَّ قاس الآية على بيت من الشعر جاءت فيه
(ألاً) مخففة. والمعنى على ذلك «ألا يا قوم اسجدوا» على إضمار المنادى وهو
رأي الزمخشري وتابعه ابن جزي في المعنى نفسه^(٣).

أما أبو حيان فقد نقل الشنقيطي كلامه قائلاً: «وهذا القول اختاره أبو
حيان في البحر المحيط، قال فيه: والذي أذهب إليه أن مثل هذا التركيب
الوارد عن العرب ليست (يا) فيه للنداء، وحذف المنادى، لأنّ المنادى عندي
لا يجوز حذفه، لأنّه قد حذف الفعل العامل في النداء، وانحذف فاعله لحذفه،
ولو حذف المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء، وحذف متعلقه، وهو
المنادى، فكان ذلك إخلالاً كبيراً...»^(٤)، نخلص من هذا أن أبا حيان ذهب
في تفسيره للآية (يا) حرف تنبيه ولم يعترف بجواز حذف المنادى.

٢- النداء للاستغاثة:

كقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٥]، قال
الشنقيطي: «والجؤار المذكور: هو النداء في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ

(١) أضواء البيان، ص ١٤٤٠.

(٢) الكشف: ٣/٣٦٦، وأنوار التنزيل: ٤/٢٦٤-٢٦٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣/١٧٣، والتسهيل: ٣/٩٥.

(٤) أضواء البيان، ص ١٤٤٠-١٤٤١، وينظر: البحر المحيط: ٧/٦٦.

فَنَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ [ص: ٣]؛ لَأَنَّ نَدَاءَهُمْ نَدَاءَ اسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِصْرَاحٍ^(١).
 وذهب الشوكاني بالقول: «النداء هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم»^(٢)، وتبعه في ذلك ابن كثير والبغوي^(٣).
 وقال الماوردي: «قوله: «لا تجأروا» يحتمل وجهين، أحدهما: استغاثوا، والثاني: دعوا»^(٤).

٣- النداء بمعنى الهلاك:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، قال الشنقيطي: «وقولهم: «يا ولينا» الويلة الهلكة، وقد نادوا هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات، فقالوا: يا ويلتنا! أي: يا هلكتنا احضري، فهذا أوان حضورك!»^(٥).

﴿خامساً: التمني:

وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة^(٦). ويكون في الأمر الذي يصعب تحقيقه أو يستحيل، فمن الأمور البعيدة التي يصعب تحقيقها ولكنها غير مستحيلة قول الشاعر:

(١) أضواء البيان، ص ١٢٧٢.

(٢) فتح القدير: ٤٨٧/٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٨٢/٥، ومعالم التنزيل: ٧٠/٧.

(٤) النكت والعيون: ٧٧/٥.

(٥) أضواء البيان، ص ٧١٠.

(٦) مختصر المعاني، ص ١٢١.

فِيَا لَيْتَ مَا بَيَّنِّي وَبَيَّنَ أَحِبِّي مِّنَ الْبَعْدِ مَا بَيَّنِّي وَبَيَّنَ الْمَصَائِبِ
وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ تَحْقِيقُهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَيْتَ الْكَوَاكِبِ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عَقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي
وَالْأَدَاةَ الْمَوْضُوعَةَ لِلتَّمْنِي هِيَ (لَيْتَ)، وَقَدْ يُدَلُّ عَلَى التَّمْنِي بِحُرُوفٍ
أُخْرَى لَيْسَتْ مَوْضُوعَةً لِلتَّمْنِي وَهِيَ (هَلْ، لَوْ، لَعَلَّ)، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ
نَقْلُهَا إِلَى التَّمْنِي لِأَمْرِ مِنْ أُمُورِ الْبَلَاغَةِ^(١).

أَمَّا (هَلْ) فَهِيَ حَرْفٌ لِلِاسْتِفْهَامِ تَخْرُجُ إِلَى مَعْنَى التَّمْنِي كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: من الآية ٥٣]، وَلَعَلَّ الْكَفَّارَ
لَهَوْلٌ مَا هُمْ فِيهِ يَتَعَلَّقُونَ بِهِمْ هُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، وَهَذَا
التَّمْنِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدَاةُ (هَلْ) فِي سِيَاقِ الْعِبَارَةِ، وَهُمْ يَطْلُبُونَ الْمُسْتَحِيلَ، يَقُولُ
الْبَلَاغِيُونَ: إِنَّ الْغَرَضَ مِنْ اسْتِخْدَامِ (هَلْ) فِي التَّمْنِي هُوَ إِبْرَازُ التَّمْنِي الْمُسْتَحِيلِ
فِي صُورَةِ الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ الْمُمْكِنُ الْحَصُولِ إِظْهَاراً لِكَمَالِ الْعَنَاءِ بِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ^(٢).
قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ فِي ذَلِكَ: «إِنَّ الْكَفَّارَ إِذَا عَايَنُوا الْحَقِيقَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقْرُونَ بِأَنَّ
الرَّسْلَ جَاءَتْ بِالْحَقِّ، وَيَتَمَنُّونَ... أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ شُفْعَاءُ فَيَنْقِذُوهُمْ»^(٣).
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: اسْتِفْهَامٌ فِيهِ مَعْنَى التَّمْنِي^(٤) وَتَبَعَهُ الشُّوْكَانِيُّ^(٥).
مِثَالٌ آخَرٌ لِلْحَرْفِ (هَلْ):

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٣].

(١) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص ١٩٨.

(٢) البلاغة من منابعها، ص ٥٢، وبلاغة التركيب في علم المعاني، ص ١٩٨.

(٣) أضواء البيان، ص ٣٢٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٨/٧.

(٥) ينظر: فتح القدير: ٢١٩/٢.

قال الشنقيطي: «لفظة (هل) هنا يراد بها التمني، والآية تدلّ على إنهم تمنوا التأخير والإنظار، أي: الإمهال»^(١).

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين^(٢).

وأما (لو) فهي في أصل وضعها حرف امتناع لامتناع، تخرج إلى معنى التمني في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لِلنَّاسِ فَنَّكَرَةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]، والنكته في التمني بـ(لو) ما يشعر به من عزة التمني حيث يعرض في صورة ما لا يوجد لأنّ (لو) حرف امتناع لامتناع^(٣)، قال الشنقيطي: «إنّ الكفار يوم القيامة، يتمنون الرد إلى الدنيا، لأنّ (لو) في قوله هنا: «لو أنّ لنا» للتمني، (والكرّة) هنا: الرجعة إلى الدنيا. وأنّهم زعموا أنّهم إنّ ردوا إلى الدنيا كانوا من المؤمنين المصدقين للرسول فيما جاءت به»^(٤).

وذهب الزمخشري بالقول: «ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنّه قيل فليت لنا كرة، وذلك لما بين معنى (لو وليت) من التلاقي في التقدير»^(٥)، وذهب القرطبي في تفسيره للآية بالقول: «ولو وقع لنا رجوع إلى الدنيا لآمنّا حتى يكون لنا شفعاء تمنوا حين لا ينفعهم التمني»^(٦)، وهذا ما

(١) أضواء البيان، ص ١٤٣٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٦٤/٦، ومعالم التنزيل: ١٣٠/٦، وإرشاد العقل

السليم: ٢٦٥/٦، والحرر الوجيز: ٢٩٤/٤، ولباب التأويل: ١٢٥/٥.

(٣) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص ١٩٨، وينظر: علم المعاني، ص ٦٣.

(٤) أضواء البيان، ص ١٤٣٠.

(٥) الكشف: ٣٢٨/٣، وأنوار التنزيل: ٢٤٥/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١١٠/١٣.

ذهب إليه أبو حيان^(١).

وأما (لعل) فأصلها للترجي، لكن (لعل) تخرج أيضاً إلى معنى التمني في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) سَبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿[غافر: ٣٦-٣٧]، فبلوغ فرعون أسباب السماوات أمر مستحيل، وكان الأولى أن تستعمل هنا (ليت) لكن استعملت في مكانها (لعل) لأن الغرض إبراز الأمر المستحيل في صورة الممكن المتوقع إظهاراً لكمال العناية به^(٢).

□ الإنشاء غير الطلبي:

وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وهذا النوع من الإنشاء لم يحظ بمثل ما حظى به القسم الأول من الاهتمام، ولهذا تقل المباحث البلاغية فيه ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء^(٣)، وينحصر في الأساليب الآتية:

١- أسلوب التعجب:

وذلك كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مریم: ٣٨]، قال الشنقيطي مبيناً أسلوب التعجب في هذه الآية الكريمة ما نصه: «قوله: «أسمع بهم وأبصر» صيغتا تعجب، ومعنى الآية الكريمة أن الكفار يوم القيامة يسمعون وييرون الحقائق التي أخبرتهم بها

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢٠/٧.

(٢) البلاغة من منابعها، ص ٥٢.

(٣) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص ١٩٦.

الرسَل سمعاً وإبصاراً عجيبين، وأنَّهم في دار الدنيا في ضلالٍ وغفلة لا يسمعون الحقَّ ولا يبصرونه... واعلم أنَّ صيغة التعجب إذا كانت على وزن أفعل به فهي فعل عند الجمهور، وأكثرهم يقولون: إنَّه فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر. وبعضهم يقول: إنَّه فعل أمر لإنشاء التعجب، وهو الظاهر من الصيغة، ويؤيده دخول نون التوكيد عليه، كقول الشاعر^(١):

ومستبدل من بعد غضيبياً صريمة فأحربه من طول فقر وأحرياً
لأنَّ الألف في قوله: «وأحرياً» مبدلة من نون التوكيد الخفيفة على حدِّ قوله في الخلاصة:

وأبدلناها بعد فتح ألفاً وقفاً كما تقولُ في قفنٍ قفا
والجمهور أيضاً أنَّ صيغة التعجب الأخرى التي هي ما أفعله فعل ماضٍ، خلافاً لجماعة من الكوفيين في قولهم: إنَّها اسم بدليل تصغيرها في قول العرجي:

ياما أميليح غزلاناً شَدَنَّ لنا من هؤلئائكن الضَّالَّ السَّمرِ
قالوا: والتصغير لا يكون إلا في الأسماء، وأجاب من خالفهم بأنَّ تصغيرها في البيت شاذ يحفظ ولا يقاس عليه^(٢).

وقال ابن عاشور في هذه الآية: «صيغتنا تعجب، وهو تعجب على لسان الرسول ولسان المسلمين»^(٣). وأكثر المفسرين قالوا بهذا المعنى^(٤).

(١) البيت موجود في شرح ابن عقيل: ١٤٨/٣.

(٢) أضواء البيان، ص ٧٨٠-٧٨١.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٠/١٦.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ١٦/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٦٨/١٣، والكشف والبيان: ٢١٦/٦، وتفسير السراج المنير: ٣٣٧/٢.

٢- أسلوب القسم:

وهو من أساليب الإنشاء غير الطلبي، عرفه ابن القيم قائلاً: «وهو أن يقسم في كلامه شيء لم يرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه، وإنما يريد به بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده»^(١).

وقد أورد الشنقيطي أسلوب القسم في تفسيره، فبيّن القسم، والمقسم به والحكمة منها في الآيات الواردة فيها.

وقد جاء في تفسيره أن بين كل قسم ومقسم عليه مناسبة ارتباط في الجملة غالباً، والله تعالى يقسم بما شاء على ما شاء، لأن المقسم به من مخلوقاته فاختيار ما يقسم به هنا أو هناك غالباً يكون لنوع مناسبة^(٢)، لأنها دالة على قدرته^(٣).

وإنه يذكر أحياناً وظيفة القسم في المقسم عليه، وفي هذا قال ابن القيم: «والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون بما يحسن فيه كالأمر الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة المشهورة، كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها»^(٤).

وهذا ما التزم به الشنقيطي خاصة أثناء كلامه على صحة الرسالة، وكونه هو المعبود الحق، وكون البعث حق، إلى غيره، فمثلاً فإنه تكلم على

(١) الفوائد المشوق، ص ١٦٧.

(٢) أضواء البيان، ص ٢٠٥٤ من التتمة.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٧٤ من التتمة.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ص ٩.

الأمر السابقة بقوله ما نصه: «أما كون الرسول ﷺ مرسلًا حقًا ففي قوله تعالى هنا: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، يعني: أي لا وجه للعجب المذكور؛ لأن يجيء المنذر الكائن منهم. لاشك في أنه بإرسال من الله حقًا.

وقولهم: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: من الآية ٤]، إنما ذكره الله تعالى إنكاراً عليهم وتكذيباً لهم، فعرف بذلك أن في ضمن المعنى: ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: من الآية ١]. إنك مرسل حقًا ولو عجبوا من مجيئك منذراً لهم... وأما كون الإله المعبود واحد لا شريك له، ففي قوله هنا: ﴿أَجْعَلِ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، لأن الهمزة في قوله: «أجعل» للإنكار المشتمل على معنى النفي... وهذان الأمران قد دلت آيات أخر من القرآن العظيم، على إن الله أقسم على تكذيبهم فيها وإثباتها بالقسم صريحاً كقوله تعالى مقسماً على إن الرسول مرسل حقاً: ﴿يَسَ ۝١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣]...، وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وأما كونه تعالى هو المعبود الحق لا شريك له، فقد أقسم تعالى عليه في قوله تعالى: ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا ۝١﴾ فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ۝٢ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصفات: ٤]... وأما كون البعث حقاً؛ فقد أقسم عليه إقساماً صحيحاً صريحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتَأْتِيََنَّكُمْ ﴿سبأ: ٣﴾، أي: الساعة»^(١).

ويذكر أيضاً المقسم به الذي قال عنه ابن القيم: «لابد أن يكون آية ظاهرة تدلّ على الربوبية، وأمّا الأمور الغائبة التي يؤمن بها فإنّه يقسم عليه، وإنّما يقسم سبحانه بملائكته وكتابه، لظهور شأنهما، ولقيام الأدلة والأعلام الظاهرة، الدالة على ثبوتهما»^(٢).

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]،: «أنّ المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً، وذلك لأمرين:

أحدهما: أنّ هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى الذي هو أنّ النبي ﷺ على حق وأنه ما ضلّ وما غوى وما ينطق عن الهوى إنّ هو إلّا وحي يوحى موافق في المعنى. لما أقسم عليه بمواقع النجوم. وهو قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨] إلى قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠].

وثانيهما: أنّ كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، لأنّ هذا التعظيم من الله يدلّ على أنّ هذا المقسم به في غاية العظمة»^(٣).

(١) أضواء البيان، ص ١٥٤٧.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص ٩٠.

(٣) أضواء البيان، ص ١٨٠٢-١٨٠٣.

وتطرق إلى أسلوب الحذف في القسم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى: «ليستخلفنهم»، اللام موطئة لقسم محذوف، أي: وعدهم الله، وأقسم في وعده ليستخلفهم»^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، قال الشنقيطي: «وحذف الفاء من قوله: «إنكم لمشركون» يدلّ على قسم محذوف... فهو قسم من الله -جل وعلا- أقسم به على إن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنّه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين»^(٢).

٣- أسلوب المدح والذم:

وهو من الإنشاء غير الطلبي وقد ذكر الشنقيطي هذا النوع في تفسيره فالمدح كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال الشنقيطي: «وكقوله ﴿وَعَلَىٰ مِثْلٍ﴾ مثنياً على من تصدق، فأبدى صدقته: «إن تبدوا الصدقات فنعماً هي» ثم بين أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء، خير من إبدائها الذي مدحه بالفعل الجامد، الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نعم»^(٣). وهذا ما ذكره أكثر

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨٠.

(٣) أضواء البيان، ص ١٥٦٢.

المفسرين^(١).

قال البقاعي: «فجمع لها الأمداح المبهمة؛ لأنّ نعم كلمة مبالغة تجمع المدح كلّها، وما كلمة مبهمّة تجمع الممدوح فتطابقنا في الإيهام»^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿وَلَنَعَمَّ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، قال الشنقيطي: «مدح الله -جلّ وعلا- دار المتقين التي هي الجنة في هذه الآية الكريمة، لأنّ «نعم» فعل جامد لإنشاء المدح»^(٣). وهذا مذهب أغلب المفسرين^(٤).

والذم كما في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، قال الشنقيطي: «فقد سمى -جلّ وعلا- في هذه الآية الكريمة تركهم التناهي، عن المنكر فعلاً، وأنشأ له الذم بلفظة لبس التي هي فعل جامد لإنشاء الذم في قوله: «لبس ما كانوا يفعلون» أي: وهو تركهم التناهي، عن كل منكر فعلوه»^(٥). وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين^(٦).

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ١٦/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٥، واللباب في علوم الكتاب، ٦٨/١٣، والكشف والبيان: ٢١٦/٦، وتفسير السراج المنير: ٣٣٧/٢.

(٢) نظم الدرر: ٥٢٦/١.

(٣) أضواء البيان، ص ٥١٠.

(٤) ينظر: الكشف: ٥٦٤/٢، والبحر المحيط: ١١٠/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٥٠/١٢، والبحر المديد: ٢٨/٤، والتحرير والتنوير: ١١٥/١٣.

(٥) أضواء البيان، ص ١٤٠٨.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٤٥/٢، والبحر المحيط: ٥٤٩/٣، وإرشاد العقل السليم: ٧٠/٣، وتفسير السراج المنير: ٣١٢/١.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: من الآية ٢٥]، قال الشنقيطي: «(ساء) فعل جامد لإنشاء الذم بمعنى بئس»^(١). وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين^(٢).

٤- أسلوب الرجاء:

ويكون بـ(لعل) وبأفعال الرجاء عسى وحرى واخلولق، وتكلم الشنقيطي على دلالة (لعل) و(عسى) للترجي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: من الآية ٣١]، قال الشنقيطي في كلامه على (لعل): «وقوله: «لعلكم تفلحون»... إنها على بابها من الترجي أي: توبوا إلى الله، رجاء أن تفلحوا، وعلى هذا فالرجاء بالنسبة إلى العبد، أما لله -جل وعلا- فهو عالم بكل شيء، فلا يجوز في حقه إطلاق الرجاء، وعلى هذا فقوله تعالى لموسى وهارون في مخاطبة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] وهو -جل وعلا- عالم بما سبق في الأزل من أنه لا يتذكر ولا يخشى، معناه: فقولا له قولا لئلا رجاء منكما بحسب عدم علمكما بالغيب أن يتذكر أو يخشى»^(٣).

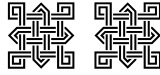
وتكلم الشنقيطي على دلالة (عسى) للترجي وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ

(١) أضواء البيان، ص ٥٠٦.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٣/٣٩٣، وإرشاد العقل السليم: ٥/١٠٧، وبحر العلوم: ٢/٢٧٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٢/٤٣.

(٣) أضواء البيان، ص ١٣٦٤، ١٢٣١، والعذب النمير: ١/٢١٧-٢١٨، و٣/١٢٨٧.

سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿التحریم: ۸﴾، قال ما نصه: «فقوله في آية التحريم هذه: «يا أيها الذين آمنوا» كقوله في آية النور: «أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ». وقوله في آية التحريم: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كقوله في آية النور: «لعلكم تُفْلِحُونَ»، لأنَّ من كفرت عنه سيئاته وأدخل الجنة، فقد نال الفلاح بمعنييه... والرجاء المفهوم من لفظة «عسى» في آية التحريم، هو المفهوم من لفظة «لعل» في آية النور كما لا يخفى»^(١).



(١) أضواء البيان، ص ١٣٦٥.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير

أسلوب التقديم والتأخير من أبرز وأهم الظواهر البلاغية في لغة العرب، إذ إنّ من سنن العرب «تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخراً وتأخيره وهو في المعنى مقدم»^(١)، إنّ ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء فكان سيبويه (ت ١٨٠هـ) أوّل من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والمفعول للعناية والاهتمام^(٢). ودلالات تتعلق بالصنعة الشعريّة كالضرورة الشعريّة التي قد يؤدي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وقد تابع النحاة واللغويون سيبويه في آرائه كالمرّد (ت ٢٨٥هـ) وابن جني (ت ٢٩٣هـ) الذي تفرد في مناقشته لهذه الظاهرة بينما تميز الفراء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ) في نصّهما على مواضع التقديم والتأخير من نوع تقديم اللفظ والتأخير في المعنى إلى أن وصل البحث إلى الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي درس الظاهرة -مفيداً من سيبويه- دراسة دقيقة مفصّلة وأعطى فيها لكلّ حالة خصوصيتها المعنوية، وقدم دراسته على وفق منهج علمي دقيق وتتابع الدراسات البلاغيّة للتقديم والتأخير فكان الزركشي (ت ٧٩٤هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدّما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

(١) المزهر: ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: الكتاب: ١٢٧/٢-١٢٨.

□ التقديم والتأخير عند الشنقيطي:

علمنا ممّا سبق أن علماء البلاغة أولوا اهتمامهم في موضوع التقديم والتأخير، الخاص بالمسند والمسند إليه، وتقديم متعلقات الفعل، وحصروا الحديث عليه في هذه المباحث الثلاثة، وقد بينوا الأغراض البلاغية وراء كلّ تقديم وتأخير، وهنا نجد إنّ الشنقيطي يقف على بعض الآيات القرآنية، التي اشتملت على أسلوب التقديم والتأخير، والتي عالجها بطريقته الخاصة في بيان سبب التقديم والتأخير، وسأشير -إن شاء الله- إلى هذه الآيات، ومع العلم إنّ الشنقيطي لم يتوسع بالقول في هذا الأسلوب، وإنّما اكتفى ببعض الإشارات في أثناء تفسيره للآيات القرآنية الكريمة.

١- تقديم الخبر:

ورد تقديم الخبر عند النحاة وذكروا في غير ما موضع، فقالوا: إنّ تقديم الأعراف هو بالأصل ويقصدون هنا المبتدأ، ويتأخر الأقل تعريفاً ليكون خبراً إلا أنّ هذه القاعدة ليست ثابتة^(١). فقد يتقدم الخبر لغرض بلاغي أو لسياق الكلام، فقد ورد تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٦]، قال الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة على قراءة من قرأ^(٢) (قتل) بالبناء بالمفعول يحتمل نائب الفاعل فيها على أن يكون لفظ (رييون) وعليه فليس في (قتل) ضمير أصلاً ويحتمل أن نائب الفاعل فيها على أن يكون لفظ (رييون) وعليه فليس في (قتل) ضمير أصلاً ويحتمل أن نائب الفاعل ضميرٌ

(١) ينظر: الكتاب: ٨٨/١، والمقتضب: ١٢٧/٤-١٩٠، والمغني: ٥٨٨/٢.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قتل معه)، وقرأ عاصم وابن عامر وحمة والكسائي (قتل) بألف. (السبعة في القراءات، ص ٢١٧).

عائذٌ إلى النبي، وعليه (فمعه) خبر مقدم ورييُون مبتدأ مؤخر سوغ الابتداء به اعتماداً على الظرف قبله ووصفه بما بعده والجملة حالية والرباط الضمير وسوغ إتيان الحال من النكرة التي هي وصفه بالقتل ظلماً وهذا هو أجود الأعراب المذكورة في الآية على هذا القول»^(١).

قال الرازي: «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «قتل معه» والباقون «قاتل معه» فعلى القراءة الأولى يكون المعنى: أن كثيراً من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم، بل استمروا على جهاد عدوهم... وقوله: «معه ربيون» حال بمعنى قتل، حال ما كان معه من ربيون، أو يكون على معنى التقديم والتأخير، أي: وكأين من نبي معه ربيون كثير قتلوا فما وهن الربيون على كثرتهم»^(٢).

هذا وقد اكتفى أغلب المفسرين على ذكر القراءات الخاصة بهذه الآية ولا يذكرون مسألة التقديم والتأخير^(٣).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: من الآية ٧]، قال الشنقيطي: «والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو «غشاوة» وسوغ الابتداء بالنكرة فيه اعتماداً على الجار والمجرور قبلها. ولذلك يجب تقديم هذا الخبر، لأنه هو الذي سوغ الابتداء بالمبتدأ»^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ١٤٢.

(٢) التفسير الكبير: ٤/٤٠٦.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٧/٢٦٤، وتفسير القرآن العظيم: ٢/١٣٠، والجامع لأحكام

القرآن: ٤/٢٢٨، ومدارك التنزيل: ١/١٨٧.

(٤) أضواء البيان، ص ٤٣.

٢- تقديم المفعول به:

ذكر سيبويه في كتابه أن المفعول به والفاعل يقدمان للاهتمام والعناية^(١). وقد تقدّم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فتعرّض النحاة والبلاغيون لهذا التقديم ذاكرين أهم أغراضه البلاغية. ومن تلك المواضع التي تناولها الشنقيطي من ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُكُمْ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، حيث قال الشنقيطي: «نادى الله -جلّ وعلا- عباده المؤمنين، وأكد لهم أن أرضه واسعة، وأمرهم أن يعبدوه وحده دون غيره، كما دل عليه تقديم المفعول الذي هو إياي... والمعنى: أنّهم إنّ كانوا في أرض لا يقدرّون فيها على إقامة دينهم، أو يصيبهم فيها أذى الكفار، فإنّ أرض ربهم واسعة فليهاجروا إلى موضع منها يقدرّون فيه على إقامة دينهم، ويسلمون من أذى الكفار، كما فعل رسول الله ﷺ والمسلمون»^(٢).

وقال الآلوسي: «إياي» معمول لفعل محذوف يفسره المذكور... ولزم أن يقدر الفعل المحذوف العامل في «إياي» مؤخراً لئلا يفوت التعويض عن فعل الشرط مع إفادة الاختصاص والإخلاص، فالمعنى: إنّ أرضي واسعة فإن لم يخلصوا لي العبادة في أرض فأخلصوها لي في غيرها»^(٣) وإلى ذلك ذهب أبو حيان والزمخشري^(٤).

(١) الكتاب: ٣٤/١.

(٢) أضواء البيان، ص ١٤٦٤.

(٣) روح المعاني: ١٠/٢١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٥٣/٧، والكشاف: ٤٦٥/٣.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، قال الشنقيطي: «قدم المفعول لأجل الاختصاص، أي لا يظلمون بذلك إلا أنفسهم»^(١).

وقال الرازي: «وإمّا تقديم المفعول فهو للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم وما تعدى أثر ذلك الظلم عنهم إلى غيرهم»^(٢)، وتبعه أبو حيان^(٣).

٣- تقديم الحال على عامله الظرف:

اختلف النحاة والبلاغيون في مسألة تقديم الحال على عامله الظرف، فمنهم من أجاز ذلك، ومنهم من لم يجز، ومن ذلك ما أورده الشنقيطي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى: «إلا كافة للناس»، استشهد به بعض علماء العربية على جواز تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف كما أشار له ابن مالك في الخلاصة بقوله:

وسبق حال ما بحرف جر قد أبوا ولا أمنعه فقد ورد
قالوا: لأنّ المعنى: وما أرسلناك إلا للناس كافة: أي: جميعاً، أي:
أرسلناك للناس، في حال كونهم مجتمعين في رسالتك، ومن أجاز ذلك أبو
علي الفارسي، وابن كيسان، وابن برهان، ولذلك شواهد في شعر العرب،

(١) العذب النمير: ١٦٤٦/٤.

(٢) التفسير الكبير: ٤٨/١٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٢٤/٤.

كقول طليحة بن خويلد الأسدي^(١):

فإن تك أذواد أصبن ونسوة فلن يذهبوا فزعاً بقتل حبال
فقوله فزعاً: أي: هدرأً حال، وصاحبه المجرور بالباء الذي هو بقتل،
وحبال اسم رجل^(٢).

وبعدها نرى أن الشنقيطي قد فصل في هذه الآية ذاكراً أقوال العلماء
فيها قائلاً ما نصه:

وقال الزمخشري في الكشف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَآفَّةً لِلنَّاسِ﴾ إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم، لأنها إذا شملتهم، فإنها قد
كفتهم أن يخرج منها أحد منهم^(٣).

وقال الزجاج: المعنى: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله
حالاً من الكاف، وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الرواية،
والعلامة، ومن جعله من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ، لأن تقدم حال
المجرور عليه في الإحالة بمترلة تقدم المجرور على الجار، وكم ترى ممن يرتكب
هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى، لأنه لا يستوي
له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني، فلا بد له من ارتكاب الخطأين.

وقال الشيخ الصبان في حاشيته على الأشموني: جعل الزمخشري «كافة»
صفة لمصدر محذوف أي رسالة كافة للناس، ولكن اعترض بأن كافة مختصة
بمن يعقل وبالنصب على الحال كطراً، وقاطبة.

(١) البيت موجود في شرح ابن عقيل: ٢٦٥/٢.

(٢) أضواء البيان، ص ١٥١٨.

(٣) الكشف: ٥٩٢/٣.

ثمَّ يرجح الشنقيطي بين هذه الأقوال قائلاً: «وما ذكره الصَّبَّان في «كافة» هو المشهور المتداول في كلام العرب، وأوضح ذلك أبو حيان في البحر»^(١).

وهذا هو الصحيح ذلك لأنَّ المتبادر أنَّ «كافة» حال من الناس قدم مع إلا عليه للاهتمام^(٢).



(١) أضواء البيان، ص ١٥١٩، وينظر: البحر المحيط: ٢٦٩/٧.

(٢) روح المعاني: ١٤١/٢٢.

المبحث الرابع

الحذف والذكر

الذكر: هو وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى.

والحذف هو: إسقاط سبب خفيف^(١).

وهو ملحظ نحوي دقيق المسلك له سماته المتفرّدة التي تجعله شبيهاً بالسحر^(٢). ولهذا عبّر عنه ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ). أنه نوع من التأليف شريف لا يكاد يلجّه إلاّ فرسان البلاغة، وذلك لعلو منزلته^(٣).

فابن الأثير يعدّه نوعاً من التأليف النحوي الدقيق الذي يكتشفه أهل البلاغة. ولا شك في أنّ أوّل من طرق بابه هم -النحاة- الذين عنوا بدراسته وبيّنوا مواضعه؛ إذ كانوا يذكرون اللفظ ويحذفونه حسبما يقتضيه السياق والمعنى.

فقد أشار إليه سيبويه في أكثر من موضع من (الكتاب) مبيناً أنواعه وكاشفاً عن أسبابه مؤكداً أنّ ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم^(٤). وعده ابن جني (ت ٣٩٢هـ) باباً قيماً من أبواب شجاعة العربية^(٥).

ومن هنا يبدو أنّ النحاة الأوائل قد أدركوا أهميّة المباحث الإسناديّة في دلالة الكلام، أسلوباً موضوعياً فنياً لذا كانت: «عنايتهم الفائقة بدراسة

(١) التعريفات، ص ٦١.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.

(٣) الجامع الكبير، ص ١٢٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ٨/١، ١١١، و ٢٧٩ و ١٤٤/٢.

(٥) ينظر: الخصائص: ٣٦٠/٢ وما بعدها.

الكلام العربي والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير وإضمار وإظهار، وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته»^(١).

وكذلك اهتم البلاغيون بحذف المسند إليه وحذف المسند وحذف المفعول، ورأوا الجمال والروعة يتجليان في العبارة عندما يحذف ركن من أركانها، ووجدوا من وراء ذلك دواعي بلاغية شتى ومعاني مختلفة، وأدركوا أنه يفقد قيمته عندما لا يقوم في العبارة دليل عليه، وإن الحذف له فوائد وأسباب وشروط حددها العرب بلغتهم واستنبطها البلاغيون بحذفهم^(٢).

لقد ذكر الشنقيطي موضوع الحذف في تفسيره، مبيناً المحذوف والمواضع التي يحدث فيها الحذف، وقد اصطبغت دراسته بالصبغة النحوية تارةً والبلاغية تارةً أخرى، وأنه انحاز في تفسيره انحيازاً بيناً للحذف على حساب الذكر.

ومن صور الحذف التي عرض لها الشنقيطي في تفسيره.

١- حذف المبتدأ:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٧]، قال الشنقيطي: «وقوله: «متاع قليل» خبر مبتدأ محذوف، أي: متاعهم في الدنيا قليل»^(٣).

قال الشوكاني: «وارتفاع «متاع قليل» على إته خبر مبتدأ محذوف،

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص ٢٥.

(٢) ينظر: البرهان، ص ٦٨٦-٦٩٤.

(٣) أضواء البيان، ص ٥٥٧.

أي: متاعهم متاع قليل»^(١).

وقد نقل الشنقيطي قول الزمخشري في معنى الآية وهو: منفعتهم في الدنيا متاع قليل^(٢).

وقال النسفي في ذلك: «هو خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم»^(٣).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]، قال الشنقيطي: «وقوله: «ذكر رحمت ربك» خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ذكر رحمة ربك، وقيل: مبتدأ خبره محذوف، وتقديره: فيما يتلى عليكم ذكر رحمة ربك، والأول أظهر»^(٤). قال الآلوسي: «ذكر رحمت ربك» خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ذكر رحمة ربك»^(٥)، وقال الشوكاني: «خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا ذكر رحمة ربك»^(٦) وإلى ذلك ذهب النسفي^(٧).
وقد أكثر الشنقيطي من ذكر هذا النوع في تفسيره^(٨).

٢- حذف الخبر:

أشار الجرجاني إلى حذف المسند (الخبر) عندما يكون في العبارة (إنَّ)

(١) فتح القدير: ٢٠٣/٣.

(٢) أضواء البيان، ص ٥٥٧، وينظر: الكشاف: ٥٩٨/٢.

(٣) مدارك التنزيل: ١٨٥/٢.

(٤) أضواء البيان، ص ٧٤٨.

(٥) روح المعاني: ٥٨/١٦.

(٦) فتح القدير: ٣٢٥/٣.

(٧) مدارك التنزيل: ٢٦٠/٢.

(٨) ينظر: ص ٧٤٣ و ٧٥٣ و ٨٤٢ و ١٥٥٥ و ١٥٨٢ و ١٦٩٦ و ١٨٢٥ و ١٨٢٨.

المؤكد؛ إذ تغني هذه عن الخبر فيورث حذفه المعنى عمقاً وتوكيداً^(١)، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥] الآية ٢٥، قال الشنقيطي: «اعلم أن خبر إن قوله هنا: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» محذوف كما ترى. والذي تدل عليه الآية أن التقدير: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، ويصدون عن سبيل الله نذيقهم من عذاب أليم. كما دلَّ على هذا قوله في آخر الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وخير ما يُفسر به القرآن القرآن»^(٢).

قال النسفي: «وخبر (إنَّ) محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم، وكلَّ من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك»^(٣) وإلى ذلك ذهب أغلب المفسرين^(٤).

٣- حذف الفعل:

وقد تطرق إليه الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، قال الشنقيطي: «والمقرر في علم العربية أن (لو) لا تدخل إلا على الأفعال فيقدر لها في الآية فعل محذوف، والضمير المرفوع بعد «لو» أصله فاعل الفعل المحذوف، فلما حذف الفعل فصل الضمير. والأصل: قُلْ لَوْ تَمْلِكُونَ، فيحذف

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٤٧.

(٢) ينظر: أضواء البيان، ص ٩٨٤.

(٣) مدارك التنزيل: ٣٥٢/٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٣/٢١، والكشاف: ٣/١٥٢، والبحر المحيط: ٦/٣٣٦،

وأنوار التنزيل: ١٢٢/٤.

الفعل فبقيت الواو فجعلت ضميراً منفصلاً هو: أنتم»^(١).

قال البيضاوي: «وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده... وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الإيجاز»^(٢) وإلى ذلك ذهب النسفي^(٣). وقال الآلوسي: «لأنّ (لو) يمتنع أن يليها الاسم والأصل لو تملكون فلماً حذف الفعل انفصل الضمير»^(٤).

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر هذا النوع في تفسيره^(٥).

٤- حذف الفاعل:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، فقال الشنقيطي مبيناً الفاعل المحذوف في الآية الكريمة: «قيل: هنا مبني للمفعول حذف فاعله، واختلف العلماء في فاعله المحذوف، فقال بعض العلماء: قال بعضهم لبعض في سرهم وباطن أمرهم: «اقعدوا مع القاعدين» واستأذنوه لتقعدوا.

وقال بعضهم: أذن لهم النبي ﷺ فقال: «اقعدوا مع القاعدين» وعلى هذا القول فـ(اقعدوا) هو الإذن. وبعضهم يقول: قوله: «مع القاعدين» أذن لهم إذناً صاحبه لا يرضى عنهم. والمراد بالقاعدين: الذين ليس من شأنهم الحضور، كالصبيان والزّماني والنساء، ونحو ذلك ممن ليس من شأنه الخروج للقتال.

(١) أضواء البيان، ص ٦٥٦.

(٢) أنوار التنزيل: ٤٦٩/٣.

(٣) مدارك التنزيل: ٢٢٠/٢.

(٤) روح المعاني: ١٨٠/١٥.

(٥) ينظر: ٥٦٣ و ٧٢٦ و ٧٨٠ و ١٥٣٦، وينظر: العذب النмир: ١١٨٩/٢.

وقال بعض العلماء: هو كوني قدرتي، الله يقول للشيء: «كن فيكون»، فقال: «اقعدوا»، فكان قعودهم، واختار هذا بعض العلماء^(١).

ومن أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٤]، قال الشنقيطي: «فاعل «جاء» هنا محذوف دل عليه المقام»^(٢).

قال الرازي: «وفاعل (جاء) مضمر أضمر لدلالة المذكور، وتقديره: ولقد جاءك من نبي المرسلين»^(٣)، وذهب إلى ذلك أكثر المفسرين^(٤).

٥- حذف المفعول:

تناول الشنقيطي هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: من الآية ٦٤]، قال الشنقيطي: «وقوله: «واستفز» أي: استحق من استطعت أن تستفزه منهم، فالمفعول محذوف لدلالة المقام عليه»^(٥).

ويحذف المفعول لقصد التعميم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) العذب النمير: ٢٣٤٧/٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦/٨، والبحر المحيط: ٤٩/٥.

(٢) العذب النمير: ١٦٧/١.

(٣) التفسير الكبير: ١٧٠/١٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤١٧/٦، والبحر المحيط: ١١٤/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٦٦/٨، والمحرم الوجيز: ٣٣٨/٢.

(٥) أضواء البيان، ص ٦٤٧.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، قال الشنقيطي: «ذكر -جل- وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه يأمر خلقه بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وأنه ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، لأجل أن يتعظوا بأوامره ونواهيه، فيمتثلوا أمره، ويحتنبوا نهيّه، وحذف مفعول «يأمر، وينهى» لقصد التعميم»^(١).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٤].

قال الشنقيطي: «وحذف مفعول (أصلح) لقصد التعميم، أي: وأصلح جميع أقواله وأفعاله، ونياته، وقصده، فلم يفعل إلا طيباً»^(٢) ويحذف المفعول أيضاً لقصد مراعاة الفواصل، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]، قال الشنقيطي: «يعني أن فرعون أضل قومه عن طريق الحق وما هداهم إليها... والنكتة البلاغية في حذف المفعول في قوله: «وما هدى» ولم يقل وما هداهم، هي مراعاة فواصل الآيات»^(٣).

٦- حذف المفعولين معاً:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، قال الشنقيطي: «ومثال حذف المفعولين معاً مع قيام الدليل عليهما: «أين شركائي الذين كنتم تزعمون»، أي: تزعموهم شركائي»^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤٣.

(٢) العذب النمير: ٢٩٧/١.

(٣) أضواء البيان، ص ٨٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٨٢.

قال أبو حيان: «وحذف مفعولا «يزعمون» اختصاراً؛ إذ دلّ ما قبله على حذفهما والتقدير: تزعمونهم شركاء»^(١)، وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرين^(٢).

واستشهد الشنقيطي على هذا النوع من الحذف بشاهد شعري وهو قول الكمي^(٣):

بأيّ كتابٍ أم بآيةٍ سنّةٍ ترى حبّهم عاراً عليّ وتحسبُ
أي: وتحسب حبهم عاراً عليّ^(٤).

٧- حذف أحد المفعولين:

ومن حذف المفعول الأوّل ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢]، قال الشنقيطي: «حذف فيه أحد المفعولين، والتحقيق أنّ المحذوف هو الأوّل لا الثاني، كما ظنه الفخر الرازي^(٥)، وقد ردّه عليه أبو حيان^(٦)، والصّواب هو ما ذكره، من أنّ المحذوف الأوّل، وتقديره: علم النّبي القرآن وقيل جبريل، وقيل الإنسان»^(٧).

ومن حذف المفعول الثاني مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ

(١) البحر المحيط: ٩٨/٤.

(٢) ينظر: فتح القدير: ١٧٦/٤، وأنوار التنزيل: ٣٠٠/٤، والكشاف: ٤٣٠/٣، ومدارك التنزيل: ٣٢١/١.

(٣) ديوانه: ١٧٢.

(٤) أضواء البيان، ص ١٣٨٣.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٧٦/٢٩.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ١٨٧/٨.

(٧) أضواء البيان، ص ١٨١٥.

بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا ﴿[الأعراف: من الآية ١٨٤]، فقد ذكر الشنقيطي: «أنَّ جميع آيات اتخاذهم العجل لها حذف فيها المفعول الثاني في جميع القرآن كما في قوله هنا، أي: اتخذوه لها، وأن النكتة في حذفه دائماً التنبيه: على أنَّه لا ينبغي التلفظ بأنَّ عَجَلًا مصطنعاً من جماد إله، وقد أشار تعالى إلى هذا المفعول المحذوف دائماً في «طه» بقوله: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨].

٨- حذف الصفة:

وقد وجدنا أنَّ الشنقيطي قد فصّل في هذا النوع من الحذف، قائلاً: «وقد تقرّر في علم العربية: أنَّ حذف الصفة إذا دلّ المقام عليه موجود في القرآن، وفي كلام العرب»^(١).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، قال الشنقيطي: «أي: كل سفينة صالحة، بدليل أنَّ خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها، لأنه لا يأخذ كل سفينة صالحة، بدليل أنَّ خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها، لأنه لا يأخذ المعيبة التي فيها الخرق وإنما يأخذ الصحيحة»^(٢).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة:

(١) أضواء البيان، ص ١٧٨٤، والعذب النمير: ١/١٢٨، وينظر: التوضيح والتكميل:

١٥٣/٢.

(٢) أضواء البيان، ص ٧٣٨، وص ٦٤٤.

من الآية ٧١]، قال الشنقيطي: «ويتعين هنا حذف الصفة، لأنه لو لم تقدر الصفة لكانوا كفاراً، لأنهم لو قالوا: لم يأتِ بالحق إلا في هذا الوقت، فقبل هذا الوقت لم يكن آتياً بالحق!! كانوا مكذبين لنبي كريم، ومن كذب نبياً كريماً فهو كافر، ولذلك يتعين تقدير النعت هنا، والمعنى: جئت بالحق الذي لا يترك في هذه البقرة لبساً لإيضاحها بصفاتها الكاشفة تماماً»^(١).

وذكر الشنقيطي هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره^(٢).

ومن شواهد حذف الصفة في كلام العرب قول الشاعر، وهو المرقش الأكبر:

وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَدَّيْنِ بِكْرٍ مُهْفَهَفَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدٌ
أي: لها فرع فاحم، وجيد طويل^(٣).

ومنه قول عبيد بن الأبرص^(٤):

مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فَعْلُهُ فَعِلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلٌ
أي: قوله قول فصل، وفعله فعل جميل، ونائله نائل جزيل^(٥).

٩- حذف الموصوف:

وضع العلماء شروطاً في جواز حذف الموصوف، فقد ذكر الزركشي

(١) العذب النمير: ١/١٢٨.

(٢) ينظر: أضواء البيان، ص ٦٤٨، و ١٧٨٤.

(٣) أضواء البيان، ص ٦٤٤، والعذب النمير: ١/١٢٨، وينظر: ضياء السالك: ٣/١٨،

والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية: ١/٢٢٧.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٠٠.

(٥) أضواء البيان، ص ٦٤٤.

أنه يشترك فيه أمران:

أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف، فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف.

وثانيهما: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلقها بغرض السياق^(١). وفي ضوء هذا يكون لحذف الموصوف ما يسوغه وهو القرينة السياقية على وفق ما قاله العلماء.

وقد تناول الشنقيطي هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال الشنقيطي: «إنَّ قوله: «قريب» صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب من المحسنين»^(٢). وقال النسفي: «ذكر (قريب) على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم، لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب»^(٣)، وهذا ما ذكره أغلب المفسرين^(٤).

١٠- حذف المضاف:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: من الآية ١٨٩]، قال الشنقيطي: «والكلام في الآية على حذف مضاف، أي: ولكن البر من اتقى، وقيل: ولكن البر بر من اتقى»^(٥).

(١) ينظر: البرهان، ص ٧١٨-٧١٩، وبدائع الفوائد: ٢٧/٣.

(٢) أضواء البيان، ص ٣٣١.

(٣) مدارك التنزيل: ٣٧٣/١.

(٤) ينظر: الكشف: ١٠٥/٢، وأنوار التنزيل: ٢٨/٣.

(٥) أضواء البيان، ص ٧٣.

وقال الزمخشري: «ولكن البر من اتقى» على تأويل حذف المضاف، أي
بر من آمن^(١).

ويستشهد الشنقيطي على هذا الأسلوب بشاهد شعري وهو قول
الخنساء^(٢):

لا تسأم الدهر منه كلما ذكرت فإئتما هي إقبال وإدبار
أي: ذات إقبال^(٣).

وقد أكثر الشنقيطي من ذكر هذا النوع في تفسيره^(٤).

١١- حذف المصدر:

يحذف المصدر إذا دلّ عليه الفعل، بصفة أن الفعل حدث مقرون بزمن،
وهو ما يخلو منه المصدر^(٥). وقد تناول الشنقيطي هذا النوع من أسلوب الحذف
في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]، قال
الشنقيطي: «وقوله: «كذلك سلكناه» نعت لمصدر محذوف، أي: كذلك
السلك أي الإدخال. سلكناه، أي: أدخلناه في قلوب المجرمين»^(٦).

١٢- حذف المنادى:

وقد ذكر الشنقيطي هذا النوع من أسلوب الحذف وبين أغراضه

(١) الكشف: ٢٤٣/١.

(٢) شرح ديوان الخنساء، ص ٢٢٩، وأصل البيت:

تَرْتَعُ مَا حَتَّى إِذَا اذْكُرْتَ فإئتما هي إقبال وإدبار

(٣) أضواء البيان، ص ٧٣.

(٤) ينظر: ص ٢٠٤، ٦٦٧، ٧٩٣، ١٣٩٠، ١٧٠٢.

(٥) ينظر: الجواهر: ٤٨١/٢، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص ١١٣.

(٦) أضواء البيان، ص ١٤٣٣.

البلاغية التي يخرج إليها ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، قال الشنقيطي: «وقرأ هذا الحرف الكسائي وحده من السبعة: «ألا يسجدوا» بتخفيف (اللام) من قوله: (ألا)، وعلى قراءة الكسائي هذه، فلفظة ألا حرف استفتاح، وتنبيه ويا حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره، ألا يا هؤلاء اسجدوا»، وقرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير الكسائي: «ألا يسجدوا لله» بتشديد (اللام) في لفظة (ألا)»^(١). ومن قرأ بالتشديد كان المعنى فقد هم عن السبيل لئلا يسجدوا ثم حذفت، قاله الزجاج^(٢). وقال الفراء: «زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتخفيف كان المعنى: ألا يا قوم ويا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السموات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيد»^(٣).

ويرى الزمخشري أن: من قرأ بالتشديد أراد: فَصَدَّهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار (من أن) ويجوز أن تكون (لا) مزيدة ويكون المعنى: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا...»^(٤)، وتبعه النسفي في ذلك^(٥).

واستشهد الشنقيطي أيضاً على حذف المنادى من الشعر العربي، «ومنه

(١) ينظر: أضواء البيان، ص ١٤٣٨-١٤٣٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١٨٥/٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢٩٠/٢.

(٤) الكشف: ٣٦٦/٣.

(٥) ينظر: مدارك التزيل: ٢١٠/٢.

قول الشماخ^(١):

ألاً يا أصبحاني قبل غارة سنجالي وقبل منايا قد حضرن وآجالي
يعني ألا يا صحي أصبحاني»^(٢).

١٣- حذف جواب الشرط:

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ
النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، قال الشنقيطي:
«جواب (لو) في هذه الآية محذوف... ومعنى الآية الكريمة لو يعلم الكفار
الوقت الذي يسألون عنه بقولهم: متى هذا الوعد؟ وهو وقت صعب شديد،
تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام. فلا يقدرُونَ على منعها ودفعها عن
أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر
والاستهزاء والاستعجال، ولكنَّ جهلهم بذلك هو الذي هونه عليهم»^(٣).

وقال الشوكاني: «وجملة «لو يعلم الذين كفروا» وما بعدها مقررّة لما
قبلها، أي: عرفوا ذلك الوقت، وجواب (لو) محذوف، والتقدير: لو علموا
الوقت، وقال الزجاج في تقدير الجواب لعلموا صدق الوعد»^(٤). وهذا ما
ذهب إليه أكثر المفسرين^(٥).

(١) ديوان الشماخ، ص ١١٧، والأصل:

ألاً فأصبحاني قبل غارة سنجال وقبل منايا باكرات وآجال.

(٢) أضواء البيان، ص ١٤٤٠.

(٣) أضواء البيان، ص ٩١١.

(٤) فتح القدير: ٤٠٨/٣.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ١٨٨/٤، ومدارك التنزيل: ٣٢٥/٢، والبحر المحيط:

٢٩١/٦، والبحر المديد: ٥١٤/٤.

١٤- حذف الحروف:

وفي حذفها دلالات بيانية تنطوي على مقدار غير يسير من الأسرار البلاغية، وقد تناول الشنقيطي هذا النوع من الحذف ومنه:

- **حذف الهمزة:** وتحذف الهمزة إذا أمكن تعريضها نطقاً استدلالاً بالسياق وإذا دلت عليها القرائن اللفظية أو المعنوية، قال الشنقيطي: «وقد تقرّر في علم النحو أنّ حذف همزة الاستفهام إذا دلّ المقام عليها جائز»^(١). وقد استدل الشنقيطي عليه بأمثلة قرآنية وشعرية.

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: من الآية ٧٦]، قال الشنقيطي: «قوله: «هذا ربي» في المواضع الثلاثة، محتمل؛ لأنّه كان يظن ذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره، ومحتمل؛ لأنّه جازم بعدم ربوبية غير الله، ومراده: هذا ربي في زعمكم الباطل، أو أنّه حذف أداة الاستفهام للإنكار. والقرآن يُبيّن بطلان الأوّل، وصحة الثاني. أمّا بطلان الأوّل، فالله تعالى نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله: «وما كان من المشركين» في عدة آيات، ونفى الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنّه لم يتقدم عليه شرك يوماً ما.

وأما كونه جازماً موقناً بعدم ربوبية غير الله، فقد دلّ عليه ترتيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ إلى آخره «بالفاء» على قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] فدل على أنّه قال ذلك موقناً مناظراً ومحاجاً لهم،

(١) أضواء البيان، ص ٩٠٨، ودفع إيهام الاضطراب، ص ٢٤١.

كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمَهُ﴾ [الأنعام: من الآية ٨٠]. فالكلام على حذف همزة الاستفهام أي: أهذا ربّي؟ وعلى هذا القول فقرينة الاستفهام المحذوف علو مقام إبراهيم عن ظن ربوبية غير الله وشهادة القرآن له بالبراءة من ذلك»^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]، قال الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: «لَكِنَّا» أصله «لكن أنا» فحذفت همزة «أنا» وأدغمت نون «لكن» في نون «أنا» بعد حذف همزة. وقال بعضهم: نقلت حركة همزة إلى نون «لكن» فسقطت همزة بنقل حركتها، ثم أدغمت النون»^(٢).

قال الرازي: «قال أهل اللغة «لكننا» أصله «لكن أنا» فحذفت همزة وألقيت حركتها على نون «لكن» فاجتمعت النونان فأدغمت نون «لكن» في النون التي بعدها»^(٣).

وقال الآلوسي: «(لَكِنَّا) أصله «لكن أنا»، وقد قرأ به أبيّ، والحسن، وحكى ابن عطية ذلك عن ابن مسعود، فنقل حركة همزة «أنا» إلى نون «لكن» فحذفت همزة ثم حذفت الحركة ثم أدغمت النون في النون»^(٤). وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء»^(٥).

(١) أضواء البيان، ص ٢٨٢، وينظر: دفع إيهام الاضطراب، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٢) أضواء البيان، ص ٧٠٤.

(٣) التفسير الكبير: ١٠٧/٢١.

(٤) روح المعاني: ٢٧٧/١٥.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٢٣/١٨، وتفسير القرآن العظيم: ١/١٢٣، وأنوار الترتيل:

٤٩٧/٣، والبحر المحيط: ١١٧/٦، ومعاني القرآن: ٥٢/١.

وذكر الشنقيطي هذا النوع من الحذف في مواضع متعددة من تفسيره^(١).

وقد ذكر الشنقيطي كما سبق أن ذكرناه أن حذف همزة الاستفهام جائر إذا دلّ المقام عليه، وأضاف على ذلك أن هذا الحذف قياسي عن الأخفش قائلاً ما نصه: «... وهو قياس عند الأخفش مع «أم» ودونها ذكر الجواب أم لا: فمن أمثله دون «أم» ودون الجواب قول الكميت:

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

يعني: أو ذو الشيب يلعب؟»^(٢).

وقد استشهد الشنقيطي بأقوال متعددة من كلام العرب لتوضيح هذا الحذف^(٣).

ومن أساليب الحذف التي ذكرها الشنقيطي:

— حذف حرف الجر: ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ

تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: من الآية: ١٢٧]، قال الشنقيطي: «فحرف الجر المحذوف في -الآية الكريمة- هو عن، أي: وترغبون عن نكاحهن...، وقال بعض العلماء: الحرف المحذوف هو (في)، أي: وترغبون في نكاحهن...»^(٤). وقد ذكر النسفي والزمخشري القولان^(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى

(١) ينظر: أضواء البيان، ص ٩٠٨ وص ١٢٧٧.

(٢) أضواء البيان، ص ٩٠٨، ودفع إيهام الاضطراب، ص ٢٤١ وديوانه: ١٩٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) أضواء البيان، ص ١٩٥.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: ٢٥١/١، والكشاف: ٦٠٤/١.

وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَجَّرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿[النور: من الآية ٢٢]﴾، قال الشنقيطي: «وقوله: أن يؤتوا: أي لا يخلفوا على أن يؤتوا، أو لا يخلفوا إلا يؤتوا وحذف حرف الجرّ قبل المصدر المنسبك من أن وأن وصلتهما مطرد»^(١).
وقال الشوكاني: «أي: على أن لا يؤتوا. قال الزجاج: أن لا يؤتوا فحذف (لا)»^(٢).

– حذف الفاء: ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أُولِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، قال الشنقيطي: «وحذف الفاء من قوله: «إنكم لمشركون» يدل على قسم محذوف على حد قوله في الخلاصة: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم إذ لو كانت الجملة جواباً للشرط لاقتربت بالفاء على حد قوله في الخلاصة أيضاً:

وأقرن بفا حتماً جواباً لو جعل شرطاً لأن أو غيرها لم يجعل»^(٣)

– حذف الياء: ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِحَقِّي﴾ [طه: من الآية: ٩٤]، قال الشنقيطي: «إنما قال هارون لأخيه: «يبنؤم» ؛ لأن قرابة الأم أشدّ عطفاً وحناناً من قرابة الأب. وأصله يا بنؤمي بالإضافة إلى ياء المتكلم، ويطرد حذف الياء وإبدالها ألفاً وحذف الألف المبدلة منها كما هنا»^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ١٣٤٧.

(٢) فتح القدير: ١٨/٤.

(٣) أضواء البيان، ص ٥٨٠ وينظر: الخلاصة: ٦٩.

(٤) أضواء البيان، ص ٨٨٠.

المبحث الخامس

الفصل والوصل

الفصل في اللغة القطع، والوصل خلاف الفصل ويعني فصل الشيء بالشيء^(١). والوصل في البلاغة عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه^(٢)، وإذا ما أردنا أن نربط التعريف اللغوي بالتعريف البلاغي نكتشف أن الارتباط وثيق بين التعريفين، فالفصل قطع الجمل والوصل ربط الجمل.

ولكن علينا أن نعرف مواضع الفصل والوصل، وقد عدّ التفتازاني الابتداء بالفصل الأصل؛ لأن الوصل عارض على الفصل قال معلقاً على ابتداء القزويني بالفصل من دون الوصل: «بدأ بذكر الفصل لأنه الأصل، والوصل طارئ أي: عارض عليه حاصل بزيادة حرف، لكن لما كان الوصل بمثلة الملكة والفصل بمثلة عدمها والأعدام إنما تعرف بملكاتها بدأ في التعريف بذكر الوصل»^(٣). ويقصد بمثلة الملكة أي الأمر الوجودي؛ لأن حرف العطف بوجوده يكون الكلام موصولاً وبعدمه يكون الكلام مقطوعاً.

والفصل والوصل من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقياساً للبلاغة فقد نقل الجاحظ أنه قيل للفارس ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل^(٤). ومن أبرز من تحدث عن مواضع الفصل والوصل عبد القاهر الجرجاني فقد بحث في تفصيلات الفصل والوصل بقوله: «إن الجمل على ثلاثة

(١) لسان العرب، مادة (فصل).

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص ١٧٥، وتهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٣) تهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨/١.

أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف فيها البتة لشبه العطف فيها -ولو عطف- بعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف، وجملة ليست في الشيء من الحالين... وحق هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين الحالين فأعرفه»^(١). واتفق البلاغيون فيما بعد على أن الفصل في خمسة مواضع وأن الوصل يجب في ثلاثة مواضع^(٢).

□ مواضع الفصل:

﴿الأول: وضابطه أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتام الاتحاد، إذ تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها وهو (كمال الاتصال) وذلك أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوُّز والغلط، وهو قسمان:

١- أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]، قال الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: «قيماً» أي: مستقيماً لا ميل فيه ولا زيغ...، وعليه فهو تأكيد في المعنى لقوله: «و لم يجعل له عوجاً»،

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٨٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤٦/١، والتلخيص، ص ١٤٧.

لأنه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر، ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة»^(١).

٢- أن تتزيل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

قال الشنقيطي: «أكد -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة، أنه هو الغفور الرحيم، وبَيَّن فيها أنه هو وحده المختص بذلك... ووجه دلالة تلك الآية على إنَّ وحده هو الذي يغفر الذنوب، هو أنَّ ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه في قوله: «إلا إنَّ الله هو الغفور الرحيم» يدلُّ على ذلك...، وأما الأمر الثاني، هو توكيده تعالى أنه هو الغفور الرحيم، فإنَّه أكَّد ذلك هنا بحرف الاستفتاح الذي هو (إلا)، وحرف التوكيد الذي هو (إنَّ)»^(٢).

ومنه أيضاً قوله ﷺ: «إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٣)، قال الشنقيطي: «وهو واضح في أنَّ تارك الصلاة كافر، لأنَّ عطف الشرك على الكفر فيه تأكيد قوي لكونه كافراً»^(٤).

ومن النوع الثاني لكمال الاتصال أن تكون الثانية بدلاً من الأولى وهو:

١- ضربان له: أن تتزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه

(١) أضواء البيان، ص ٦٥٩-٦٦٠.

(٢) أضواء البيان، ص ١٦٠١.

(٣) المعجم الأوسط: ٢٧١/٥.

(٤) أضواء البيان، ص ٧٩٤.

كقوله تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، قال الشنقيطي: «وجملة «هل هذا إلا بشر مثلكم». قيل بدل من «النجوى»، أي: أسروا النجوى التي هي هذا الحديث الخفي الذي هو قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم. وصدر به الزمخشري، وقيل: مفعول به للنجوى، لأنها بمعنى القول الخفي، أي: قالوا في خفية: «هل هذا إلا بشر مثلكم». وقيل: معمول قول محذوف، أي: قالوا هل هذا إلا بشر مثلكم، وهو أظهرها، لإطراد حذف القول مع بقاء مقوله، وفي قوله: «الذين ظلموا» أوجه كثيرة من الإعراب معروفة، وأظهرها عندي أنها بدل من الواو في قوله: «وأسروا» بدل بعض من كل»^(١).

قال الرازي: «أبدل الذين ظلموا من أسروا إشعاراً بأنهم هم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به»^(٢).

٢- أن تترل الثانية من الأولى مترلة بدل الاشتمال، كقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ الْيُودِيُّونَ﴾ [الزخرف: ٣٤]، قال الشنقيطي: «وقوله «لبيوكم» بدل اشتمال مع إعادة العامل من قوله: «لمن يكفر» [الزخرف: من الآية: ٣٣]^(٣) من قوله: «لمن يكفر»^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ٩٠٢، وينظر: الكشاف: ١٢٣/٣.

(٢) التفسير الكبير: ١٢٢/٢٢، وينظر: الجواهر الحسان: ٤٩٤/٢، والبحر المديد: ٤٨٠/٤.

(٣) أضواء البيان، ص ١٦٣٧-١٦٣٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٨٧/١٦.

٣- قد يكون في الجملة خفاء وإيماء فتأتي بعدها جملة أخرى تكشف هذا الخفاء وتزيل ذلك الإبهام، والمقام يقتضي ذلك، وذلك هو عطف البيان، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، فمن خلال إعراب الشنقيطي للآية الكريمة قال: «وقوله: ﴿وتلك﴾ مبتدأ و«القرى» صفة له، أو عطف بيان...»^(١).

﴿الثاني﴾: وهو أن يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي تباين تام وليس في الفصل إبهام خلاف المقصود، وذلك أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى فمن وجوب الفصل لاختلاف الخبر والإنشاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، فإن جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ خبرية، وجملة (انفوا) إنشائية (أمر) لذلك لم تعطف الثانية على الأولى، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى: ﴿وانفوا﴾ أي: بامتنال أمره واجتناب نهي، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو سميع لكل ما تقولون من التقديم بين يديه وغيره، عليم بكل ما تفعلون من التقديم بين يديه وغيره»^(٢).

﴿الثالث﴾: وضابطه أن تكون الجملة الأولى مورد السؤال الذي قد تضمنته والمقدر فيها، فجاءت الثانية جواباً لها أو جواباً لسؤال قُدر في الجملة الأولى وإذ ذاك يجب فصل الثانية عن الأولى لوقوعها جواباً عن السؤال المقدر فيها، ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف) كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١]، قال

(١) أضواء البيان، ص ٧٢٦.

(٢) أضواء البيان، ص ١٧٧٠.

الشنقيطي: «أما قوله: «وإن منكم إلا واردها» فهو محتمل للعطف أيضاً، ومحتمل للاستئناف»^(١).

وللوصل مواضع ثلاثة:

﴿الأول: وضابطه أن تتفق الجملتان المعطوف بينهما خبراً وإنشاءً، أي: كانتا خبريتين متفقتين لفظاً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ [الروم: ١٩]، ففي هذا النظم القرآني، وجدنا كل جملتين موصولتين قد اتحدتا في الخبرية لفظاً ومعنى، قال الشنقيطي: «فدل بالنظير على النظير، وقرب أحدهما من الآخر جداً بلفظ الإخراج»^(٢).

أو كانتا إنشائيتين متفقتا في اللفظ والمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٩]، عطف جملة «واستغفروا» على جملة «أفيضوا» لأنهما إنشائيتان، قال الشنقيطي: «فلفظة «ثم» للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة على جملة»^(٣).

﴿الثاني: وضابطه أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين»^(٤). كقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ

(١) المصدر نفسه، ص ٨١٣.

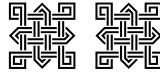
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٣١.

(٣) أضواء البيان، ص ٨١.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٥٥٣/٣، والميسر في البلاغة العربية، ص ١٨٢.

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿الرعد: ٤٣﴾، قال الشنقيطي: «الظاهر أنَّ قوله: «ومن عنده علم الكتاب» عطف على لفظ الجلالة، وأن المراد به أهل العلم بالتوراة والإنجيل»^(١).

﴿الثالث: وضابطه أنَّ تكون الجملتان مختلفتان خبراً وإنشاءً وأوهم الفصل خلاف المقصود، كقولك لمن سألك عن صحة أبيك المريض: هل تحسنت صحة أبيك؟ فتقول له (لا وعافاك الله) فإنَّ حرف العطف في جوابك لا بد منه؛ لأنَّ حذفه (لا عافاك الله)، يوهم بخلاف المراد، أنت تريد أن تدعو له وعبارتك توهم بأنَّها دعاء عليه، والجملتان مختلفتان فالأولى التي تمثلها (لا) معناها (لم تتحسن صحة أبي) فهي خبرية، والثانية (عافاك الله) دعائية إنشائية، وكان الفصل بينهما أولى^(٢).



(١) أضواء البيان، ص ٤٤٢.

(٢) البلاغة من منابعها، ص ١٤٧.

المبحث السادس

القصر والحصر

القصر لغةً: الحبس والالتزام، نقول: قَصَرَتَ نفسي على الشيء إذا حبستها^(١). وقَصَرَ عن الشيء عجز عنه ولم يبلغه وبابه دَخَلَ^(٢).

واصطلاحاً: هو تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصة^(٣).

والقصر تأكيد وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤدِّيه القصر ليس جمالياً، فالقصر من مباحث علم المعاني. والغرض الذي يؤدِّيه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني. وأسلوب القصر يتكون من ركنين: المقصور والمقصور عليه، أي أحد الشيئين موصوف والآخر صفة^(٤). وطرق القصر كثيرة أشهرها أربعة:

- ١- النفي والاستثناء وهي: (لا وإلاّ، وما وإلاّ، وإن وإلاّ، وهل) وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.
- ٢- (إنّما) ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.
- ٣- العطف بـ(لا، وبل، ولكن) فإن كان العطف بـ(لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف بـ(بل ولكن) كان المقصور عليه ما بعدهما.

(١) لسان العرب: مادة (قصر)، ينظر: تاج العروس: مادة (قصر).

(٢) المصدر نفسه: مادة (قصر).

(٣) ينظر: الإتيقان: ١٠٦/٢، والميسر في البلاغة العربية، ص ٢١٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦/٣.

٤- تقديم ما حققه التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم^(١).

وللقصر طرفان: المقصور، والمقصور عليه، والأخير هو الشيء المخصص به، ويقسم البلاغيون القصر على ثلاثة أقسام.

أ - القصر باعتبار طرفيه:

١- قصر الموصوف على الصفة: وهو من القصر الإضافي، إذ الموصوف على هذه الصفة لا يتجاوزها إلى غيرها. نحو: إنّما العرب كرماء، إذ يفيد تخصيص العرب للكرم، بمعنى أنّ العرب مقصرون على الكرم لا يفارقونه إلى غيره من الصفات فالعرب مقصرون والكرم مقصور عليهم وهما (طرفا القصر)، ولما كان العرب موصوفين، والكرم صفة لهم. كان القصر هنا قصر موصوف على صفة، بمعنى أنّ الموصوف لا يفارق صفة الكرم إلى أي صفة أخرى.

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [فاطر: من الآية ١٨]، فقال الشنقيطي: «ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة: أن إنذاره ﷺ محصور في الذين يخشون ربهم بالغيب، وأقاموا الصلاة، وهذا الحصر الإضافي، لأنهم هم المستفوعون بالإنذار، وغير المستفوع بالإنذار، كأنه والذي لم ينذر سواء بجامع عدم النفع في كل منهما»^(٢).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [فصلت: ٧]، قال الشنقيطي: «والقصر في قوله: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٣٨.

(٢) أضواء البيان، ص ١٥٢٤.

إضافي، أي لا أقول لكم إني ملك، وإنما أنا رجل من البشر. وقوله: «مثلكم» في الصفات البشرية، ولكن الله فضلني بما أوحى إليّ من توحيده»^(١).

٢- **قصر الصفة على الموصوف:** وهو أنّ الصّفة مقصورة على الموصوف وحده، لا تتجاوز إلى غيره، ادّعاءً بأنّه ليس لهذه الصّفة موصوف آخر غير المنصوص عليه كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التغابن: من الآية ١٨]، لأنّ مجيء الآية بالجملة الاسمية يشعر بالحصر، ومجيئه هنا أيضاً يشعر بأنّ الرقابة على الأسرة بين الطرفين إنّما هي لله تعالى، لأنّهما يكونان في عزلة عن الناس ولا يطلع على ما بينهما إلا الله، عالم الغيب والشهادة»^(٢).

ب- قصر حقيقي وغير حقيقي:

١- **القصر الحقيقي:** وهو أن يختصّ المقصور بالمقصود عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً^(٣)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، قال الشنقيطي: «عبر في هذه الآية الكريمة بلفظ: إنّما وهي تدل على الحصر عند الجمهور، وعليه فهي تدل على حصر الوحي في توحيد الإلهية.

وقد جاءت آيات أخر تدل على أنّه أوحى إليه غير ذلك كقوله: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: من الآية ١]، وقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٨٥.

(٢) أضواء البيان، ص ١٩٥٧ من التتمة.

(٣) ينظر: الإتقان: ١٤٩/٣، والميسر في البلاغة العربية: ٢٢٥.

الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴿٤٩﴾ [هود: ٤٩]، وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [يوسف: من الآية ٣].

والجواب: أن حصر الوحي في توحيد الإلهية حصر له في أصله الأعظم، الذي يرجع إليه جميع الفروع، لأن شرائع كل الأنبياء داخلة في ضمن لا إله إلا الله، لأن معناها خلع كل الأنداد سوى الله في جميع أنواع العبادات، وإفراد الله بجميع أنواع العبادات، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية»^(١).

٢- **القصر غير الحقيقي (الإضافي):** وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين إلى جميع ما عداه^(٢). ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ [طه: ١-٣]، قال الشنقيطي: «وهذا القصر على التذكرة إضافي، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: من الآية ٦٤] بدليل الحكم الأخرى التي ذكرناها، ومن هذه الحكم، أن يتدبر الناس آياته، وأن يتذكر أولوا الألباب في حكم إنزاله، وذكر حكمة الإنذار، وأن يبين ﷺ للناس ما أنزل إليهم ولأجل أن يتفكروا، ومن حكم إنزاله، تثبيت المؤمنين والهدى والبشرى للمسلمين، وأن من حكم إنزاله أن يحكم بين الناس بما أراه الله، وأن من حكم إنزاله إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأن من

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ٣١٠، وينظر: أضواء البيان، ص ٤٠٤.

(٢) ينظر: الإيضاح، ص ٧، والميسر في البلاغة العربية، ص ٢٧٦.

حكم إنزاله التذكرة لمن يخشى، وإنّ من حكم إنزاله قرآناً عربياً وتصريف الله فيه من أنواع الوعيد: أن يتقي الناس الله، أو يحدث لهم هذا الكتاب ذكراً، أي موعظة وتذكراً، ويهديهم إلى الحق»^(١).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤٨]، قال الشنقيطي: «والقصر في قوله تعالى: «وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين» هو الذي يسميه البلاغيون قصراً إضافياً، لأنّه يرسلهم بأعمال أخر طيبة من تعليم الآداب، والمكارم، وغير ذلك ممّا هو زائد على البشارة والإنذار»^(٢).

ج- القصر باعتبار حال المخاطب:

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أن القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أقسام: قصر أفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين، والمخاطب في أسلوب القصر إمّا أن يكون شاكاً في الأمر أو يكون معتقداً عكس الرأي في الحكم أو يكون معتقداً الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم. فهو يكون لمقتضى الحال أو ما تدعّيه الحاجة^(٣).

١- قصر أفراد: وفيه يعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، أي تخصيص أمر بصفة من أخرى^(٤). ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: من الآية ٢]، قال الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة

(١) ينظر: أضواء البيان، ص ١٥٥٥-١٥٥٦-١٥٥٧.

(٢) العذب النمير: ٢٤٥/١.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٣٣، والميسر في البلاغة العربية، ص ٢٦٧.

(٤) ينظر: الإيضاح، ص ٧، والميسر في البلاغة العربية، ص ٢٦٧.

فيها الدلالة الواضحة على إن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها، هي أن يعبد الله -جل وعلا- ولا يشرك به في عبادته شيء... ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، ومعلوم أن لفظ «إنما» من صيغ الحصر، فكأن جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى «لا إله إلا الله»^(١).

وللقصر طرائق متعددة وأشهرها أربع وهي:

﴿أولاً: النفي والاستثناء:

وهي أوسع طرائق القصر وأكثرها شهرة ودورانا في كتاب الله، والنفي والإثبات أساساً أسلوب القصر ومن خلال هذا الأسلوب تظهر لنا لك المعاني والصور المتصلة بأسلوب القصر وقيمته البلاغية، وقد ذكر الشنقيطي «أن أعظم صيغ الحصر: النفي والإثبات»^(٢).

والقصر بالنفي والاستثناء، حروف كثيرة تسبق أداة الحصر (إلا) ولكن هذه الحروف تختلف فيما بينها من حيث خصوصيتها التي تميزها عن الأخرى، وعنهما:

١- القصر بـ(ما-إلا): ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٨]، قال الشنقيطي: «وهذا القصر قصر إضافي: «إلا نذير»، أي: منذر لمن عصى ربي وكفر...»^(٣).

(١) أضواء البيان، ص ٤٠٤.

(٢) العذب النمير: ١٧٤٠/٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٤٧/٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥]، قال الشنقيطي: «وأما الحصر في قوله هنا...، فهو حصر في المانع الحقيقي، لأن إرادته -جلّ وعلا- عدم إيمانهم، وحكمه عليهم بذلك، وقضائه به مانع حقيقي من وقوع غيره»^(١).

٢- **القصر بـ(لا-إلا):** ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، قال الشنقيطي: «ذكر -جلّ وعلا- في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين إذا أدخلهم ربهم جنات عدن التي وعدهم «لا يسمعون فيها» أي: في الجنات المذكورة «لغوا» أي: كلاماً تافهاً ساقطاً كما يسمع في الدنيا... والظاهر أن قوله: «إلا سلاماً» استثناء منقطع، أي: لكن يسمعون فيها سلاماً...»^(٢).

٣- **القصر بـ(إن-إلا):** ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، قال الشنقيطي: «وهذا بمثالة القسم في تأكيد الأخبار، بل هذا أبلغ للحصر في الآية بالنفي والإثبات»^(٣).

٤- **القصر بـ(إنما):** إن القول بإفادة (إنما) لمعنى القصر يكاد يجمع عليه جمهور اللغويين والنحاة والبلاغيين، ومعنى (إنما) «إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه...»^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ٧١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠٤.

(٣) أضواء البيان، ص ٨١٣.

(٤) لسان العرب: مادة (أنن).

وتحدث الشنقيطي عن هذه الأداة قائلاً: إن (إنَّما) من صيغ الحصر، فهي كالنفي والإثبات، وهو الصحيح -إن شاء الله- من كلام العرب، والدليل على إنَّ (إنَّما) توضع مكان النفي والإثبات، فدل ذلك على إنها صيغة حصر، لأنَّ أعظم صيغ الحصر: النفي والإثبات، كقوله: ﴿وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٣٩]، ووضع موضعه في محل آخر: ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [المائدة: من الآية ٧٣]، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النساء: من الآية ١٧١]»^(١).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، قال الشنقيطي: «بيِّن -جلّ وعلا- في هذه الآية أنَّ العجل الذي صنعه السامريُّ من حلي القبط لا يمكن أن يكون إلهاً، وذلك لأنَّه حصر الإله، أي المعبود بحق بـ«إنَّما» التي هي أداة حصر على التحقيق في خالق السماوات والأرض، الذي لا إله إلا هو...»^(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]، قال الشنقيطي: «إنَّه قصر الإنذار على المؤمنين دون غيرهم -في هذه الآية الكريمة-، لأنَّه لما كان الانتفاع بالإنذار مقصوراً عليهم، صار الإنذار كأنه مقصور عليهم»^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٧]، قال

(١) العذب النمير: ١٧٤٠/٤.

(٢) أضواء البيان، ص ٨٨٠.

(٣) أضواء البيان، ص ٣١٦-٣١٧.

الشنقيطي: «يُحصر علمها في خالق السماوات والأرض، لا يعلم وقت مجيئها لا رسول مرسل، ولا ملك مقرب، ولا يعلمه إلا الله»^(١).

﴿ثالثاً: القصر بالعطف:﴾

ويكون بين أمرين أو أكثر يراد إثبات قسم منها ونفي القسم الآخر وأدواته ثلاثة: (لا، بل، لكن).

- لا: وهي النافية، كما في قولك: (أقدر زيداً لا خالداً) والمقصود عليه في عبارتها هو اللفظ المقابل لما بعدها وهو (زيداً) الذي يقابل (خالداً)، فتكون قد قصرت تقديرك على زيد^(٢).

ولم أجد شواهد عند الشنقيطي لهذه الأداة.

- بل: من الحروف العوامل ومعناها الاضطراب عن الأول والإيجاب للثاني كما نصَّ على ذلك الرماني (ت ٣٨٤هـ)^(٣)، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، قال الشنقيطي: «وبين هنا بطلان ما ادعوه على ربه من اتخاذ الأولاد وهم في زعمهم الملائكة بحرف الاضطراب الإبطالي الذي هو «بل» مبيناً أنهم عباده المكرمون»^(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١]، قال الشنقيطي: «لفظة بل هنا للاضطراب الانتقالي، والمعنى أن الكفار الذين كذبوا نبينا ﷺ، قالوا مثل ما قالت الأمم قبلهم، من إنكار البعث»^(٥).

(١) العذب النمير: ١٧٤٠/٤.

(٢) البلاغة من منابعها، ص ١٢٨.

(٣) ينظر: معاني الحروف، ص ٩٤، وأسلوب القصر في القرآن الكريم، ص ٩٨-٩٩.

(٤) أضواء البيان، ص ٩٠٤.

(٥) أضواء البيان، ص ١٢٧٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، قال الشنقيطي: «وقد رد الله على اليهود دعواهم ببل التي هي للاضطراب الإبطالي»^(١).

- لكن: العاطفة فتكون مثقلة ومخففة، وذهب الرماني مفرقاً بين المخففة والمثقلة؛ إذ قال: «إنَّ المخففة غير عاملة، والمثقلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد»^(٢). وتعطف ما بعدها على ما قبلها، وحكم المقصور عليه يكون بعدها ولا يعطف بـ (لكن) إلا بشروط ثلاثة وهي: أن يكون المعطوف مفرداً لا جملة، والثاني: ألا تكون مسبوقه بالواو مباشرة، والثالث: أن تكون مسبوقه بنفي أو نهي^(٣). كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، قال الشنقيطي في معرض تفسيره للآية: «لأنَّ عمى العين مع إبطار القلب لا يضرب، بخلاف العكس، فإن أعمى العين يتذكر فتنبهه الذكرى ببصيرة قلبه»^(٤).

٥- القصر بتقديم ما حقه التأخير: وهو من مباحث اللغة الجليلية، وهو لون بلاغي مهم تحدث به كبار العربية نحويون وبلاغيون بدءاً من سيبويه ثم تحدث السكاكي وأفصح عنه وللأغراض التي يخرج إليها كالعناية والاهتمام^(٥). ويأتي الجرجاني ليضع باباً خاصاً به وقال منه كثير الفوائد،

(١) المصدر السابق، ص ١٥٨٤.

(٢) معاني الحروف، ص ١٢٣.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٦١٧/٣.

(٤) أضواء البيان، ص ٦٥١.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٣٣.

جَمَّ المحاسن... بعيد الغاية، وهذا كله ناتج عن تحوّل اللفظ من مكان إلى مكان^(١).

وحكم المقصور عليه في التقديم والتأخير فهو المقدّم ومن صوره في تفسير الشنقيطي:

□ تقديم المفعول به:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [النحل: من الآية ٥١]، قال الشنقيطي: «وقدّم المفعول في قوله: «وإياي فارهبون» للدلالة على الحصر. وقد تقرر في الأصول في مبحث «مفهوم المخالفة»، وفي المعاني في مبحث القصر، «أنّ تقديم المفعول من صيغ الحصر»، أي: خافون وحدي ولا تخافوا سواي»^(٢).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٤١]، قال الشنقيطي: «وقدم المفعول للحصر، أي: لا تدعون وقت الشدائد إلاّ إياه وحده، لأنّكم تعلمون أنّه هو الذي بيده إزالتها، وأنّ غيره لا يقدر على رفع الكربات عنكم»^(٣).

ونقل أبو حيان كلام الزمخشري قائلاً: «إنّ تقديمه دليل على الحصر والاختصاص، ولذلك قال: بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة»^(٤)، وهذا ما ذهب إليه البيضاوي والآلوسي^(٥).

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ١٤٣.

(٢) أضواء البيان، ص ٥١٥.

(٣) العذب النمير: ٢٠٩/١.

(٤) البحر المحيط: ١٣٢/٤، وينظر: الكشف: ٢٣/٢.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ٤٠٨/٢، روح المعاني: ١٤٩/٧.

ويقدم المفعول أيضاً لأجل الاختصاص، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٦٠]، قال الشنقيطي: «قدم المفعول لأجل الاختصاص، أي: لا يظلمون بذلك إلا أنفسهم»^(١).

وهذا ما قال به الشوكاني قائلًا: «وتقديم الأنفس هنا يفيد الاختصاص»^(٢). ومن صور التقديم أيضاً، تقديم الجار والمجرور، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٤٦]، قال الشنقيطي: «أي: يوقنون أنهم إليه راجعون -جل وعلا- يوم القيامة فمحازيهم على أعمالهم، وقدم المعمول الذي هو الجار والمجرور، في قوله: «إليه راجعون» لأمرين، أحدهما: المحافظة على رؤوس الآي، والثاني: الحصر. وقد تقرر في فن الأصول، وكذلك تقرر في فن المعاني في مبحث القصر، أن تقديم المعمول من أدوات الحصر»^(٣).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، قال الشنقيطي: «وقدّم الجار والمجرور على عامله الذي هو المصدر الميمي إيذاناً بالحصر: «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مرجعهم»... والمعنى: رجوعهم يوم القيامة إلى الله وحده، فليس هنالك معه ملك آخر يرجع إليه بعضهم، بل يرجعون إليه وحده -جل وعلا-»^(٤).

(١) العذب النمير: ١٦٤٦/٤.

(٢) فتح القدير: ١٢٠/٢.

(٣) العذب النمير: ٦٢/١، ومجالس الشنقيطي، ص ١٤٧.

(٤) العذب النمير: ٥٤٢/٢.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: من الآية ٣٦]،
قال الشنقيطي: «وتقديم المعمول الذي هو الجار والمجرور يؤذن بالحصص، أي:
لا يحشرون إلى شيء غير النار والعياذ بالله -جل وعلا-»^(١).



(١) المصدر نفسه: ١٩١٧/٤.

المبحث السابع

الإطناب

الإطناب لغة: جاء في اللسان: «الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذمّاً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه... وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد»^(١).

واصطلاحاً: عرّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وأن يخبر المطلوب بمعنى المعشوق بكلام طويل، لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة، فإن كثرة الكلام توجب كثرة النظر، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد»^(٢).

□ أنواع الإطناب عند الشنقيطي:

حدّد علماء البلاغة في مصنفاتهم أنواعاً متعددة للإطناب^(٣)، وسأقف -إن شاء الله- على ما وقف عليه الشنقيطي في تفسيره، وكما يأتي:

١- الإيضاح بعد الإبهام:

ذكر القزويني أن هذا النوع من الإطناب يؤتى به: «ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكّن، فإن المعنى إذا أُلقي مُبهماً، تاقّت نفس السامع إلى معرفته مُبيناً، أو لتكُمّل لذّة العلم به، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ اسْتَخِرْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: من الآية ٢٥]، فإن (إشرح لي) يُفيد

(١) لسان العرب: مادة (طنب).

(٢) التعريفات، ص ٢٥.

(٣) ينظر على سبيل التمثيل: التلخيص، ص ١٢٥ وما بعدها.

طلبَ شرحَ لشيءٍ ما له، و(صدري) يُفيدُ تفسيرَ هذا الشيء»^(١). ومن أمثلته عند الشنقيطي، ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَك مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، قال الشنقيطي: «إنَّ «كذلك» في محل نصب بـ«قال» وعليه فالإشارة بقوله: «ذلك» إلى مبهم يفسره قوله: «هو على هين»، ونظيره على هذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَابرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]»^(٢).

٢- ذكر الخاص بعد العام:

قال القزويني في هذا النوع من الإطناب قائلاً: «وأما بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه، تزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات»^(٣).

ومن أمثلته في تفسير الشنقيطي ما جاء في قوله تعالى: ﴿قِيَمًا لِيُنْذَرَ بَاسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [٢] ﴿مَكْنِيَّتٍ فِيهِ أَبَدًا﴾ [٣] وَيُنْذَرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٢-٤]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَيُنْذَرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، أي: ينذرهم بأساً شديداً «من لدنه» أي: من عنده، وهذا من عطف الخاص على العام، لأنَّ قوله: «لينذر بأساً شديداً من لدنه» شامل للذين قالوا اتخذ الله ولداً، ولغيرهم من سائر الكفار.

(١) التلخيص، ص ١٢٥.

(٢) أضواء البيان، ص ٧٥٣.

(٣) التلخيص، ص ١٢٥.

وقد تقرّر في فن المعاني أنّ عطف الخاص على العام إذا كان الخاص يمتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة أو قبيحة من الإطناب المقبول، تزيلاً للتغاير في الصفات متزلة التغاير في الذوات.

ومثاله في الممتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة قوله تعالى: ﴿وَمَلَئِكْتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: من الآية ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: ٧].

ومثاله في الممتاز بصفات قبيحة الآية التي نحن بصدددها، فإنّ الذين قالوا اتخذ الله ولداً امتازوا عن غيرهم بفرية شنعاء، ولذا ساغ عطفهم على اللفظ الشامل لهم ولغيرهم^(١).

ولم أجد أحد من المفسرين من قال بهذا المعنى.

ومن قوله تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ١٩ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ لِّلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٩-٢٠]، قال الشنقيطي: «قوله: وشجرة: معطوف على جنات من عطف الخاص على العام، أي: وأنشأنا لكم به جنات، وأنشأنا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزيتون، كما أشار له تعالى بقوله: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: من الآية ٣٥]»^(٢). وأغلب المفسرين يذكرون أنّ في الآية الكريمة (عطف) فقط بدون تحديد نوع هذا العطف، قال البيضاوي: «(وشجرة) عطف على (جنات)»^(٣).

(١) أضواء البيان، ص ٦٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٦٨.

(٣) أنوار التنزيل: ١٥٠/٤، وينظر: مدارك التنزيل: ٣٧٧/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٢٨/٦.

وقد ذكر الشنقيطي هذا النوع من تفسيره في مواضع متعددة^(١).

٣- ذكر العام بعد الخاص:

قال السيوطي فيه: «وأنكر بعضهم وجوده فأخطأوا والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وإفراد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه»^(٢).

ومنه ما جاء عند الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، قال الشنقيطي: «وقوله تعالى في هذه الآية: «وأطيعوا الرسول» بعد قوله: «وأقيموا الصلاة» من عطف العام على الخاص، لأنَّ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، داخلان في عموم قوله: «وأطيعوا الرسول»، وقد قدمنا مراراً أنَّ عطف العام على الخاص وعكسه كلاهما من الإطناب المقبول إذا كان في الخاص مزية ليست في غيره من أفراد العام»^(٣). ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا المعنى.

٤- التكرار:

منه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: من الآية ٦٧]، قال الشنقيطي: «وكرر لفظ «من» للتأكيد»^(٤).

وهذا ما ذهب إليه الألوسي بقوله: «و«منه» من تكرير الظرف

(١) ينظر: أضواء البيان، ص ٤٨٤، و ٩١٩، و ١٥٠٠، و ٢١٥٧، و ٢١٨٨.

(٢) الإتيان: ١٨١/٣.

(٣) أضواء البيان، ص ١٣٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢٧.

للتأكيد»^(١)، وهذا ما ذكره أكثر المفسرين^(٢).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، قال الشنقيطي: «إنَّ تكرير «فبأي آلاء ربكما تكذبان» للتوكيد، ولم يكرره متوالياً؛ لأنَّ تكريره بعد كل آية أحسن من تكريره متوالياً، وإذا كان للتوكيد فلا إشكال؛ لأنَّ المذكور منه بعد ما ليس من الآلاء مؤكّد للمذكور بعد ما هو من الآلاء»^(٣).



(١) روح المعاني: ١٧٩/١٤.

(٢) ينظر: فتح القدير: ١٧٩/٣، وأنوار التنزيل: ٤٠٨/٣، والكشاف: ٥٧٥/٢،

ومدارك التنزيل: ١٦٧/٢.

(٣) دفع إيهام الاضطراب، ص ٣٥١.

الفصل الثاني

علم البيان

البيان لغةً: «ما يبين به الشيء، من الدلالة وغيرها. وبان الشيء: اتضح فهو بين، واستبان الشيء: ظهر. والبيان الفصاحة واللُّسن، كلامٌ بينٌ فصيحٌ. البيانُ الإفصاح مع ذكاء، والبيانُ من الرجال: الفصيحُ والسَّمعُ اللسان، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور»^(١).

وقد ذكر البيان في القرآن الكريم في غير ما موضع كقوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١-٤].

أمّا مدلوله في البلاغة فقد تغيّر عبر الزّمن من المعنى الواسع إلى المعنى العلمي الاصطلاحي ويعدّ السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) أوّل من حدّد أو قسم علوم البلاغة على المعاني والبيان، وما يلحق بهما من محسنات معنويّة ولفظيّة، وقد قال في تعريف البيان: «أمّا علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»^(٢).

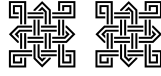
(١) لسان العرب، مادة (بين).

(٢) مفتاح العلوم، ص ٧٧.

وهكذا أخذ البيان عند السكاكي صورة علمية وصار يدلُّ على التشبيه
والمجاز والكناية بعد أن كان مفهوماً شاملاً وعماماً.

□ علم البيان عند الشنقيطي:

تناول الشنقيطي علم البيان بالتحليل والدّراسة فذكر أنواعه من تشبيه
واستعارة والمجاز العقلي والمرسل والكناية.



المبحث الأول

التشبيه

التشبيه لغةً: جاء في اللسان الشبه والشبيه المثل، أشبه الشيء، وأشبهت فلاناً وشأهتة واشتبه عليّ، وتشابه الشيئان واشتبهتا: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه التمثيل^(١). وهذا ما وجدناه عند الزمخشري؛ إذ يستعمل مصطلح التمثيل بدلاً من التشبيه كثيراً في تفسيره الكشاف^(٢).

التشبيه اصطلاحاً: هو عقد مشابهة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر. قال أبو هلال العسكري: «التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه^(٣)».

وقال السكاكي: «إن التشبيه مستدع طرفين مشبّه ومشبّه به، واشتركا فيهما من وجه واقتربا من آخر»^(٤).

وتأتي أهمية التشبيه البلاغية أنه يخرج الخفي إلى الواضح ويجعل البعيد قريباً.

١ - التشبيه المركب:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: من الآية: ٢٤] قال الشنقيطي مُبيناً

(١) لسان العرب: مادة (شبه).

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، ص ٧٥، والكشاف: ١/١٩٥.

(٣) كتاب الصناعتين، ص ٢٣٩.

(٤) مفتاح العلوم، ص ١٥٧.

معنى الآية الكريمة: «ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للدنيا بالنبات الناعم المختلط ببعضه ببعض، وعمّا قليل يبس، ويكون حصيراً يابساً كأنّه لم يكن قط»^(١).

وبعد ذلك فإنّ الشنقيطي يسرد الآيات التي ضرب فيها المثل المذكور، في (الكهف) في قوله: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وأشار لهذا المثل في (الزمر): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله في (الحديد): ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: من الآية ٢٠].

قال الشنقيطي في ذلك: «التشبيه في الآيات المذكورة عند البلاغيين من التشبيه المركب، لأنّ وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء، وهو كون كلّ من المشبه والمشبه به يمكن ما شاء الله، وهو في إقبال وكمال، ثمّ عمّا قليل يضمحلّ ويزول، والعلم عند الله تعالى»^(٢).

وذكر الشوكاني أنّ هذه الآية من التشبيه المركب فقال: «إنّما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء» والمعنى: أنّ مثلها في سرعة الذهاب بوصف يضاد ما كانت عليه وبيانه، مثل ما على الأرض من أنواع النبات من زوال رونقه، وذهاب بهجته، ... وليس المشبه هو ما دخله الكاف في قوله:

(١) أضواء البيان، ص ٣٩٦.

(٢) أضواء البيان : ٣٩٦.

«كماء أنزلناه من السماء» بل ما يفهم من الكلام...»^(١).

وقال ابن عاشور: «والمثل: الحال الماثلة على هيئة خاصة، كان التشبيه هنا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة، عبر عن ذلك بلفظ المثل الذي شاع في التشبيه المركب، وصيغة القصر لتأكيد المقصود من التشبيه وهو سرعة الانقضاء...»^(٢). وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري وأبو حيان^(٣).

٢- التشبيه التمثيلي:

ورد التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم في مواضع متعددة وذلك لإيضاح المعنى من خلال تشخيصها وتحسينها، وجاء في تفسير الشنقيطي أن من أهم أغراض هذا النوع من التشبيه هو بيان صورة بصورة وجعل الخفي جلياً، والمعنوي محسوساً^(٤)، كقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ [الرعد: ١٤]: «فلو نظرت إلى مثل هذا الشخص على هذه الحالة، وفي تلك الصورة بكل أجزائها، وهو باسط يده مفرجة الأصابع إلى ماء بعيد عنه، وهو فاغر فاه ليشرب، لقلت: وأي جدوى تعود عليه، ومتى يذوق الماء وهو على تلك الحالة، إنّه يموت عطشاً ولا يذوق منه قطرة.

وكذلك حال من يدعو غير الله مع ما يدعوه من دونه لا يحصل على طائل كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

(١) فتح القدير: ٤٥٤/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٦٠/١١.

(٣) ينظر: الكشف: ٣٢٥/٢، والبحر المحيط: ١٤٤/٥-١٤٥.

(٤) أضواء البيان، ص ١٨٨٦ من التتمة.

الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ يَتًّا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿[العنكبوت: ٤١]﴾، فأبي عناء لإنسان في بيت العنكبوت.

وكذلك أي عناء في ولاية غير الله فكذلك الحال هنا، أريد بالأمثال صور يصور لانتزاع الحكم من السامع بعد أن تصبح الصورة محسوسة ملموسة^(١).

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: من الآية ٢٤]، قال الشنقيطي: «ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للكافر بالأعمى والأصم، وضرب المثل للمؤمن بالسميع والبصير، ويُنَّ أنَّهما لا يستويان، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا يستوي الأصم والسميع»^(٢).

يُلاحظ أن الشنقيطي اكتفى بإسناد العمى والصمم للكافر والسمع والبصر للمؤمنين من أن يحلل التشبيه أو يظهر طبيعة مكوناته أو أطرافه، فقد كان غرضه إظهار معنى الآية والتفريق بين الكافر والمؤمن بضرب المثل.

وهذا التشبيه هو من المفرد بالمفرد، فالمؤمن كالسميع والبصير والكافر كالأعمى والأصم فقابل تعالى تشبيه واحد بواحد، وكيفية بكيفية للمقارنة بين حالتين متناقضتين ومهمة المثل التوضيح والتقريب.

وقد قسّم القدماء ومنهم السيوطي التشبيه تقسيمات عدّة، ومن تلك التقسيمات تقسيم على أساس طرفيه إلى أربعة أقسام، لأنَّهما: إما حسيان أو

(١) المصدر نفسه.

(٢) اضواء البيان، ص ٤٠٨.

عقليان، أو المشبه به حسي والمشبه عقلي أو عكسه^(١).

ثم أردف السيوطي حديثه عن النوع الرابع فقال بعد أن أورد أمثلة عن الأنواع الثلاثة الأولى: ومثال الرابع لم يقع في القرآن، بل منعه الإمام أصلاً، لأنَّ العقل مفاد من الحس، فالمحسوس أصله للمعقول، وتشبيهه به^(٢) يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً، وهو غير جائز^(٣).

وقد توصل أحد الباحثين في دراسته للمثل القرآني إلى نتيجة تفيد أن: «القسم الأوّل من هذه الأنواع متوافر في المثل القرآني، وكذلك القسم الثالث منه، وأما القسم الثاني. والرابع فلم يقع في المثل القرآني، إذ لم أعثر في التشبيه القرآني للمثل على كون التشبيه عقلياً في طرفيه المشبه والمشبه به، ولم ينص أحد في حدود تتبعي على ذلك والسبب أنَّ مهمة المثل هي التقريب والإيضاح، وهذا ما لا يصح بتمثيل المجرد بالمجرد»^(٤).

والتشبيه التمثيلي تشبيه واقع في آيات كثيرة في القرآن الكريم، فكلماً أوغل المشبه في العقل كانت الحاجة إلى الصورة أو المشبه به المحسوس أكبر، وقد حشد الشنقيطي الآيات القرآنية الواردة في ضرب الأمثال قائلاً: «والمثل: هو القول الغريب السائر في الآفاق، وضرب الأمثال كثير في القرآن جداً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] ومن أمثلة ضرب المثل فيه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا

(١) الإتقان: ٧٧٤/٢.

(٢) أي تشبيه المحسوس بالمعقول، وجعل المعقول مشبهاً به والمحسوس مشبهاً.

(٣) الإتقان: ٧٧٥/٢.

(٤) الصورة الفنية في المثل القرآني، ص ١٨٧.

لَهُۥٓ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. ﴿الحج: من الآية ٧٣﴾، وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَهُنَّ الضُّبُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٦-١٧٧]، وكقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: من الآية ٥]، وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْآ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]، وقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ﴾ [الروم: من الآية ٢٨]. والآيات بمثل هذا كثيرة جدًا، وفي هذه الأمثال وأشباهها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمة جدًا، لا لبس في الحق معها، إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ومن حكم ضرب

المثل أن يتفكر الناس كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقد بين تعالى في موضع آخر أن الأمثال مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قوماً، ويضل بها قوماً آخرين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] وأشار إلى هذا المعنى في سورة «الرعد» لأنه لما ضرب المثل بقوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧] أتبع ذلك بقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهٗ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّرُّ إِلَهُآءُ﴾ [الرعد: ١٨]، ولا شك في أن الذين استجابوا لرهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الأمثال، وانتفعوا بما تضمنت من بيان الحق، وأن الذين لم يستجيبوا له هم الذين لم يعقلوها، ولم يعرفوا ما أوضحتها من الحقائق، فالفريق الأول: هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾، والفريق الثاني: هم الذين قال فيهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ وقال فيهم: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

(١) أضواء البيان، ص ٧١٦-٧١٧.

٣- التشبيه المقلوب:

ويسمى التشبيه المعكوس^(١)، فيجعل المشبه مشبهاً به، وبالعكس، فتعود فائدته إلى المشبه به، لادعاء أن المشبه أتم وأكمل وأظهر وأشهر مع المشبه به في وجه الشبه.

والمقصود من هذا القلب في التشبيه المبالغة، وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ.

وسماه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) (غلبة الفروع على الأصول) فقال: «هذا فصل من فصول العربية تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة»^(٢).

فابن جني يبين في كلامه المقتضى البلاغي من التشبيه المقلوب، ويسميه (المبالغة) ووضع العلوي (ت ٧٤٩هـ) شرطاً لاستعماله في قوله: «والشرط في استعماله أن لا يرد إلا فيما كان متعارفاً حتى تظهر فيه صورة الانعكاس؛ لأنه لو ورد في غير المتعارف لكان قبيحاً؛ لأن مطرد العادة في البلاغة على تشبيه الأدنى فإذا جاء على خلاف ذلك فهو معكوس»^(٣).

وقد تناول الشنقيطي أسلوب التشبيه المقلوب في القرآن الكريم لإظهار الصورة المرادة، مُعرفاً إياه بقوله: «فالتشبيه المقلوب يُقلب فيه المشبه مشبهاً به، والمشبه به مشبهاً. وقالوا: إنما جاز هذا لنكتة، وهي إيهام أن الفرع أقوى في وجه الشبه من الأصل»^(٤).

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص ١٩٤.

(٢) الخصائص: ٣-٢/١.

(٣) الطراز: ٣٠٩/١.

(٤) الطراز: ٣٠٩/١.

ومن الأمثلة عليه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبِّيتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، قال الشنقيطي بعد تفسيره للآية الكريمة: وقال بعض العلماء: في الكلام قلب، وهو مروي عن ابن عباس وغيره.

قالوا: والمعنى: يوم تعرض النار على الذين كفروا، قالوا: وهو كقول العرب: عرضت الناقة على الحوض، يعنون عرضت الحوض على الناقة، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠].

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له -: هذا النوع الذي ذكره من القلب في الآية، كقلب الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً ونحو ذلك، اختلف فيه علماء العربية، فمنعه البلاغيون إلا في التشبيه، فأجازوا قلب المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً بشرط أن يتضمن ذلك نكتة وسراً لطيفاً كما هو المعروف عندهم في مبحث التشبيه المقلوب. وأجازه كثير من علماء العربية.

والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نطقت به العرب في لغتها، إلا أنه يحفظ ما سمع منه، ولا يقاس عليه، ومن أمثلته في التشبيه قول الراجز:

ومنهل مغبرة أرجأؤه كأن لون أرضه سماؤه

أي: كأن سماءه لون أرضه، وقول الآخر^(١):

وبدا الصبح كأن غرته وجه الخليفة حين يتمدح

لأن أصل المراد تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح، فقلب التشبيه ليوهم أن

(١) الأغاني: ٩٥/١٩.

الفرع أقوى من الأصل في وجه الشبه»^(١).

ثمَّ يتوسع الشنقيطي في هذا الموضوع ويُفصّل فيه أكثر، ذاكرًا أمثلة عليه من القرآن الكريم ومن كلام العرب، شارحاً إياها.

فقال ما نصه: «قالوا ومن أمثله في القرآن: ﴿وَأَيِّنُّهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، لأنّ العصبة من الرجال هي التي تنوء بالمفاتيح، أي: تنهض بها بمشقة وجهه لكثرتها وثقلها. وقوله تعالى: ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ [القصص: ٦٦] أي: عموا عنها. ومن أمثله في كلام العرب قول كعب بن زهير^(٢):

كَأَنَّ أَوْبَ ذُرَاعِيهَا إِذَا عَرَقْتُ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
لأنّ معنى قوله: تلفع لبس اللّفاع وهو اللّحاف، والقور الحجارة العظام، والعساquil: السراب، والكلام مقلوب، لأنّ القور هي التي تلتحف بالعساquil لا العكس، كما أوضحه ليبد في معلقته بقوله^(٣):

فبتلك إذ رقص اللّوامع بالضحي واجتأب أردية السّراب إكامها
فصرح بأنّ الإكام التي هي الحجارة اجتأبت، أي: لبست أردية السراب. والأردية جمع رداء، وهذا النوع من القلب وإنّ أجازه بعضهم فلا ينبغي حمل الآية عليه، لأنّه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه. وظاهر الآية جار على الأسلوب العربي الفصيح، كما أوضحه أبو حيان في البحر المحيط^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ١٦٨٩.

(٢) ديوانه، ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ٥٩.

(٤) أضواء البيان، ص ١٦٨٩، وينظر: البحر المحيط: ٣٥/٩.

المبحث الثاني

المجاز

المجاز لغة: جَزَتْ الطريقَ وَجَزَ الموضعَ جَوَازاً، وَجَازَ بِهِ وَجَاوَزَهُ وَأَجَازَهُ غَيْرُهُ وَجَازَهُ وَجَاوَزَهُ وَأَجَازَ غَيْرُهُ، وَجَازَهُ: سَارَ فِيهِ وَسَلَكَهُ وَجَاوَزْتُ الموضعَ جَوَازاً بِمعنى جَزَيْتُهُ. وَالمَجَازُ وَالمَجَازَةُ الموضعُ^(١).

المجاز اصطلاحاً: عرّفَ عبد القاهر الجرجاني المجاز فقال: «المجاز مُفْعَلٌ من جَازَ الشيءَ يَجُوزُهُ إذا تَعَدَّاهُ، وإذا عُدِلَ بِاللَّفْظِ عَمَّا يوجِبُهُ أصلُ اللّغة وصفه بأنّه مجاز على معنى أنّهم جاوزوا به مُوضِعَهُ الأصليّ، أو جَازَ هُوَ مكانه الذي وضع أولاً»^(٢).

وقال: «أمّا المجاز فكلّ كلمة أريد بها غير ما وَضِعَتْ له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وإنْ شئتَ قلت: كلّ كلمة جَزَتْ بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أنْ تستأنف فيها لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»^(٣).

وذهب السكاكي بأنّ المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع^(٤).

(١) لسان العرب: مادة (جوز).

(٢) أسرار البلاغة، ص ٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

(٤) مفتاح العلوم، ص ١٧٠.

□ أقسام المجاز عند البلاغيين:

قسّم البلاغيون المجاز على قسمين: المجاز العقلي، والمجاز اللغوي، ويعدّ الإمام عبد القاهر الجرجاني أوّل مَنْ وقف عليه، وقسمه هذا التقسيم، فالعقلي هو الذي يعتمد على الإسناد، واللّغوي نوعان: الأوّل: يقوم على المشابهة، وهو ما يسمى بالاستعارة، والثّاني: يقوم على صلة وملابسة ما نقلهما إليه وما نقله عنه، ويسمى هذا بالمجاز المرسل^(١).

أقسام المجاز:

﴿أولاً: المجاز العقلي﴾

عرّفه السكاكي فقال: «هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع»^(٢). والحقيقة أنّ هذا النوع من المجاز تستعمل فيه المفردات استعمالها الأساسي وفي موضوعها الأصلي ويكون عن طريق الإسناد.

وإذا ما رصدنا القدماء في استعمالاتهم لهذا المجاز نجد أنّهم لم يذكروا اسم هذا المجاز وإنّما أشاروا إلى معناه، فسيبويه أورد قول الخنساء المتضمن للمجاز العقلي:

ترعى إذا نسيت حتى إذا أدركتُ
فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ
وكقولهم: «نهارك صائمٌ» و«ليلك قائمٌ»^(٣). فسيبويه يحمل هذا الكلام على السّعة والحذف.

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص ٣٧٦.

(٢) مفتاح العلوم، ص ١٨٥.

(٣) الكتاب: ١/١٦٩، وينظر: ٨٠، ٨٩، ١٠٨، ١١٠.

وإذا ما عدنا إلى الأمثلة السابقة وجدنا أنّ التّهار أُسند إليه الصيام مجازاً على الرغم من إن الصيام يجب أن يسند إلى الكاف أي: الصائم أو الإنسان، وكذلك ليلك قائم فالقيام للإنسان وليس لليل.

وقد سمى ابن فارسي (ت ٣٩٥هـ) هذا النوع من المجاز «إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل في الحقيقة»^(١).

وفي إشعار العرب ورد هذا النوع من البلاغة في قول جرير^(٢):
لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَ غِيلَانَ فِي السَّرَى وَنَمْتُ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بَنَائِمَ
فجرير ليس بنائم وهو المعنى الحقيقي أمّا المجازي فهو عدم نوم الليل، وغرض جرير المبالغة في قلقه وعشقه لأم غيلان حتّى جعل الليل لا يرى النوم، والليل كلّ، وجرير جزء، فجعل الفعل يعم، وينتشر الكل، ليعبر عن هذا الجزء.

وكان عبد القاهر الجرجاني قد تفرّد بفصل هذا المجاز، وتسميته باسم المجاز العقلي، أو المجاز الحكمي، أو المجاز في الإثبات، أو الإسناد المجازي، إذ أورد أمثلة على ذلك وناقشها، وبيّن فيها مواضع المجاز^(٣).

وأطلق السكاكي على هذا النوع المجاز العقلي، وكذلك فعل القزويني والتفتازاني^(٤). وأورد عبد القاهر الجرجاني أمثلة على المجاز العقلي منها: هَارُكَ صَائِمٌ وَلَيْلُكَ قَائِمٌ وَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي، وقوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتٌ تَجِدَرُهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٦].

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢١٠.

(٢) ديوان جرير: ٩٩٣/٢.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٢٧، وأسرار البلاغة، ص ٣١٦-٣١٧.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٨٥، والإيضاح: ٩٧/١، وتهذيب السعد: ٩٥/١.

وقول الفرزدق^(١):

سَقَاها خَرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ عِلَاطًا وَلَا مَخْبُوطَةً فِي الْمَلَاغِمِ^(٢)
قال عبد القاهرة في تفسير الأمثلة السابقة: «أنت ترى مجازاً في هذا
كلّه، ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت
عليها. أفلا ترى أنّك لم تتحوز في قولك: (نَهَارُكَ صَائِمٌ) و(لَيْلُكَ قَائِمٌ) في
نفس (صَائِمٌ) و(قَائِمٌ)، ولكن في أن أجريتهما خبرين على النهار والليل،
وكذلك ليس المجاز في الآية (رَبَّحْتَ) ولكن في إسنادها إلى التجارة. وهكذا
الحكم في (سَقَاها خَرُوقٌ). ليس التحوّز في (سَقَاها) ولكن في أن أسندها إلى
الخروق. أفلا ترى أنّك لا ترى شيئاً منها إلا وقد أريد به معناه الذي وضع له
على وجهه وحقيقته فلم يرد بـ(صائم) غير الصوم ولا بـ(قائم) غير القيام
ولا ربحت غير الربح ولا بـ(سقت) غير السقي كما أريد في قوله: (وسالت
بأعناق المطيّ الأباطح) غير السبيل»^(٣).

إنّ هذا التحليل للمجاز العقلي تمثله الزمخشري، وسار عليه في تفسيره،
وبيّن للفعل ملابسات مختلفة بل إنّه عدّد أنواع المجاز، وأعطى أمثلة موضحة لكل
نوع من أنواع المجاز العقلي في سبيل إيضاح منهجه المتبع فقال: «إنّ للفعل
ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزّمان والمكان والمسبّب له
فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمّى
استعارة، وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل، كما يضاهي الرجل الأسد

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٧، والبيت ليس في الديوان.

(٢) علاط الناقة: وسماها بالعلاط وهي صفحة العنق أو حبل في عنق البعير: اللسان:
مادة (علط).

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٧-٢٢٨.

في جرأته، فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وفي عكسه: سبيل مفعم^(١). وفي المصدر: شعر شاعر وذيل ذائل^(٢). وفي الزمان: نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر، ونهر جار. وأهل مكة يقولون صلّى المقام، وفي المسبب بنى الأمير المدينة، وناقة صبوث^(٣) وحلوب^(٤).

وقسم السيوطي المجاز العقلي على أربعة أنواع باعتبار طرفيه فقال: «أحدها: ما كان طرفاه حقيقيين كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. ثانيها: مجازيان، نحو ﴿فَمَا رِيحَتِ بِجَدَرَتُهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٦] في سياق الحديث عن المنافقين أي: ما ربجوا فيها، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز.

ثالثها ورابعها: ما أحد طرفيه حقيقي دون الآخر. أمّا الأوّل والثاني فقولته: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الروم: من الآية ٣٥]. أي: برهاناً وقوله: ﴿فَأَمُّهُ هَكَوِيَّةٌ﴾ [القارعة: ٩] واسم الأم الهاوية مجاز أي: كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع^(٥).

□ امجاز العقلي عند الشنقيطي:

ومّا ورد منه في تفسير أضواء البيان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، قال

(١) مفعم: مليء اللسان.

(٢) الهوان والذل.

(٣) ناقة يشك في سمعها فيجس باليد.

(٤) الكشف: ٩١/١.

(٥) الإتقان: ٧٥٤/٢.

الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ قال بعض العلماء: هو من إطلاق اسم المفعول وإرادة اسم الفاعل، أي: حجاباً ستراً، وقد يقع عكسه كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، أي: مرفوق، ﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، أي: مرضية، فإطلاق كل من اسم الفاعل واسم المفعول وإرادة الآخر أسلوب من أساليب اللغة العربية، والبيانون يسمون مثل ذلك الإطلاق «مجازاً عقلياً»، ومن أمثلة إطلاق المفعول وإرادة الفاعل كالقول في الآية، قولهم: ميمون، ومشئوم، بمعنى يامن وشائم»^(١). ولم أجد أمثلة أخرى في تفسيره سوى هذا المثال .

٢- المجاز اللغوي:

وكما قلنا فهو على نوعين:

أ - الاستعارة:

مأخوذة من العارية أي: نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه. والعارية والعار: ما تداولوه بينهم، وقد أَعَارَ الشيءَ أَعَارَهُ منه عَاوَرَهُ إِيَّاهُ. والمُعاوَرَةُ والتعاوَرُ شِبْهُ المداوَلَةِ والتداول يكون بين اثنين. وتَعَوَّرَ واستعار: طلب العارية^(٢).

ولعلّ الجاحظ أوّل من عرّف الاستعارة فقال: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه»^(٣). وأطلق عليها اسم المثل والبديع عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة:

(١) أضواء البيان، ص ٦٤٢-٦٤٣.

(٢) لسان العرب: مادة (عور).

(٣) البيان والتبيين: ١/١٥٣، ٢٨٤، والحيوان: ٢/٢٨٠-٢٨٣.

هُم سَاعِد الدَّهْرِ الَّذِي يُتَقَى بِهِ وَمَا خَيْرَ كَفٍّ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدِهِ
قال: «قوله (هم ساعد) إنّما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة
البديع»^(١).

ومن البلاغيين الذين نقدوا هذه التسمية وفضلوا استعمال لفظ
الاستعارة المظفر العلوي (ت ٦٥٦هـ) عندما قال: «وكان القدماء يسمونها
الأمثال فيقولون: (فلان كثير الأمثال). ولقبها بالاستعارة ألزم، لأنه أعم،
ولأنّ الأمثال كلّها ليس تجري مجرى الاستعارة»^(٢).

ومن المعروف أنّ الاستعارة تشبيه حذف منه أحد ركنيه الأساسين إما
المشبه، وإما المشبه به، وأهم البلاغيين الذين نظروا إلى الاستعارة بعمق وفهم
دقيق، الجرجاني؛ إذ قال: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء وتظهره وتجيء إلى
اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّيه عليه»^(٣).

وعرّف السكاكي الاستعارة بقوله: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه
وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك
بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»^(٤). ويعدّ هذا التعريف من أدقّ التعريفات
تحديداً وضبطاً، فهو يوضح نوعين رئيسيين من أنواع الاستعارة وهما الاستعارة
التصريحية وفيها يحذف المشبه ويصرح بالمشبه به، والاستعارة المكنية وفيها
يحذف المشبه به وتكّني عنه بصفة من صفاته.

(١) المصدر نفسه.

(٢) نضرة الأغريض، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٥٣.

(٤) مفتاح العلوم، ص ١٧٤.

وللاستعارة ثلاثة أركان، وتلك الأركان هي: المستعار منه، وهو المشبه به والمستعار له وهو المشبه والمستعار ويقصد به اللفظ المنقول.

أمّا فيما يتعلق بأنواع الاستعارة فقد قسّم الجرجاني الاستعارة إلى مقيدة وغير مقيدة^(١). ثمّ جاء القزويني والسكاكي وقسّمَا الاستعارة على أنواع متعدّدة سنتعرف عليها عند الشنقيطي.

□ الاستعارة عند الشنقيطي:

١- الاستعارة الأصلية:

وهي الاستعارة التي يكون فيها اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق وقد عرفها السكاكي فقال: «هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وكقيام وقعود. ووجه كونها أصلية أنّ الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار بالمستعار منه»^(٢). وعرفها الشنقيطي قائلاً: «الاستعارة الأصلية: الاستعارة في الأجناس الجامدة والمصادر»^(٣).

وضرب الشنقيطي لهذا النوع من الاستعارة بقوله: «ومثال الاستعارة الأصلية: رأيتُ أسداً على فرسه، ففي لفظة أسد في هذا المثال: استعارة أصلية تصرّحية، فإنّه أراد تشبيه الرجل الشجاع بالأسد لعلاقة الشجاعة، فحذف المشبه الذي هو الرّجل الشجاع، وصرّح بالمشبه به الذي هو الأسد على سبيل الاستعارة التصريحية، وصارت أصلية، لأنّ الأسد اسم جنس جامد»^(٤).

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص ٢٢.

(٢) مفتاح العلوم، ص ١٧٩.

(٣) أضواء البيان، ص ١٤٥٨.

(٤) المصدر نفسه.

٢- الاستعارة التبعية:

ويقصد بالتبعية أنها تتبع استعارة أصلية تقدمتها، وهي تختلف عن الاستعارة الأصلية بكونها تتضمن مستعاراً يكون فعلاً، أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً أو حرفاً، وعرفها السكاكي بقوله: «ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها كالحروف»^(١). وعرفها الشنيطي بقوله: «ومرادهم -أي: البيانين- باستعارة التبعية قسماً:

أحدهما: الاستعارة في المشتقات كاسم الفاعل والفعل.

وثانيهما: الاستعارة في متعلق معنى الحرف، وهو المقصود بالبيان»^(٢).

ومثل له قائلاً ما نصه: «ومثال الاستعارة التبعية، في المشتق عندهم قولك: الحال ناطقة بكذا، فالمراد عندهم تشبيه دلالة الحال بالنطق بجامع الفهم والإدراك بسبب كل منهما، فحذف الدلالة التي هي المشبه، وصرح بالنطق الذي هو المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، واشتق من النطق اسم الفاعل الذي هو ناطقة، فجرت الاستعارة التبعية في اسم الفاعل الذي هو ناطقة، وإنما قيل لها تبعية، لأنها إنما جرت فيه تبعاً لجريانها في المصدر، لأن المشتق تابع للمشتق منه، ولا يمكن فهمه بدون فهمه، وهذا التوجيه أقرب من غيره مما يذكرونه من توجيه ما ذكر»^(٣).

ومثاله من القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: من الآية ٢١].

(١) مفتاح العلوم، ص ١٨٠.

(٢) أضواء البيان، ص ١٤٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥٩.

قال الشنقيطي: «والبشارة أغلب ما تطلق على الإخبار بما يُسرُّ خاصة، وجاء في القرآن العظيم إطلاقها على الأخبار بما يسوء - كقوله في الآية أعلاه - والعلماء الذين يقولون بالمجاز، معلوم أنهم يُسمون مثل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يجعلون هذا من نوع الاستعارة العنادية، والاستعارة العنادية عندهم يقسمونها إلى: تهكمية، وتعليحية.

ومن منع المجاز في القرآن من العلماء (وهو الذي نرى أنه الأصوب) يقول: هذا أسلوب من أساليب اللغة العربية، فالعرب يستعملون البشارة غالباً فيما يسرُّ، وربما استعملوها فيما يسوء، إذا دلّت على ذلك قرائن تفهمه، والكل أسلوب من أساليب اللغة العربية»^(١).

ومثال الاستعارة التبعية المتعلقة في معنى الحرف ما ذكره الشنقيطي قائلاً: «مثال الاستعارة التبعية عندهم في متعلق معنى الحرف في زعمهم في هذه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿فَالنَّقَطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: من الآية ٨]، قالوا: اللام فيها كلفظ الأسد في المثال الأول، فإنه أطلق على غير الأسد لمشابهة بينهما، قالوا: وكذلك اللام أصلها موضوعة للدلالة على العلة الغائبة، وعلة الشيء الغائبة: هي ما يحمل على تحصيله ليحصل بعد حصوله، قالوا: والعلة الغائبة للالتقاط في قوله تعالى: ﴿فَالنَّقَطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ هي المحبة والنفع والتبني: أي اتخاذهم موسى ولداً، كما صرحوا بأن هذا هو الباعث لهم على التقاطه وتربيته، في قوله تعالى عنهم: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، فهذه العلة الغائبة

(١) العذب النمير: ٢٤٤/١، وينظر: أضواء البيان، ص ٦٦١، والجامع لأحكام القرآن:

٢٣٨/١، والمفردات، مادة (بشر)، ص ٥٢-٥٤.

عندهم هي التي حملتهم على التقاطه، لتحصل لهم هذه العلة بعد الالتقاط.
قالوا: ولما كان الحاصل في الأمر نفسه بعد الالتقاط، هو ضد ما رجوه
وأملوه، وهو العداوة والحزن، شبهت العداوة والحزن الحاصلان بالالتقاط
بالحبة والتبني والنفع، التي هي علة الالتقاط الغائبة بجامع الترتيب في كل
منهما، فالعلة الغائبة: تترتب على معلولها دائماً ترتب رجاء للحصول، فتبنيهم
لموسى ومحبهه كانوا يرجون ترتبهما على التقاطه له، ولما كان المترتب في نفس
الأمر على التقاطهم له، هو كونه عدواً لهم وحزناً، صار هذا الترتيب الفعلي
شبيهاً بالترتيب الرجائي، فاستعيرت اللام الدالة على العلة الغائبة المشعرة
بالترتب الرجائي للترتب الحسولي الفعلي الذي لا رجاء فيه.

وإيضاحه أن ترتب الحزن والعداوة على الالتقاط أشبه ترتب الحبة
والتبني على الالتقاط، فأطلقت لام العلة الغائبة في الحزن والعداوة، لمشابهتهما
للتبيين والمحبة في الترتب، كما أطلق لفظ الأسد على الرجل الشجاع،
لمشابهتهما في الشجاعة.

وبعض البلاغيين يقول: في هذا جرت الاستعارة الأصلية أولاً بين المحبة
والتبني، وبين العداوة والحزن اللذين حصولهما هو المجرور، فكانت الاستعارة في
اللام تبعاً للاستعارة في المجرور، لأن اللام لا تستقل فيكون عُدَّ فيها تبعاً
للمجرور، الذي هو متعلق معنى الحرف، وبعضهم يقول: فجرت الاستعارة أولاً
في العلية والغرضية، وتبعيتها في اللام، وهناك مناقشات في التبعية في معنى الحرف
تركانها، لأن غرضنا بيان مرادهم بالاستعارة التبعية في هذه الآية بإيجاز.

وإذا علمت مرادهم بما ذكر، فاعلم أن التحقيق -إن شاء الله- هو ما
قدمنا، وقد أوضحنا في رسالتنا المسماة (منع جواز المجاز في المنزل للتعب

والإعجاز) أن القرآن لا مجاز فيه، وأوضحنا ذلك بالأدلة الواضحة»^(١).

٣- الاستعارة بالكناية:

وهي تشبيه حذف منه المشبه به وكُنِيَ عنه بشيء من لوازمه، ولذلك عرّضها السكاكي بقوله: «هي أن تذكر المشبه وتريد المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية»^(٢). ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: من الآية ٤].

قال الشنقيطي: «الألف واللام في «الرأس» فأما مقام المضاف إليه إذ المراد: واشتعل رأسي شيباً، والمراد باشتعال الرأس شيباً: انتشار بياض الشيب فيه. قال الزمخشري في كشفه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه، وأخذه منه كلّ مأخذ باشتعال النار، ثمّ أخرجه مخرج الاستعارة، ثمّ أسند الاشتعال إلى مكان ومنيته وهو الرأس، وأخرج الشيب ممیزاً، ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأس زكريا، فمن ثمّ فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة^(٣)، والظاهر عندنا كما بينا مراراً أنّ مثل هذا التعبير عن انتشار بياض الشيب في الرأس، باشتعال الرأس شيباً أسلوب من أساليب اللغة الفصحى جاء القرآن به»^(٤).

(١) أضواء البيان، ص ١٤٥٩، وينظر: منع جواز المجاز، ص ٧-٢٨.

(٢) مفتاح العلوم، ص ١٧٩.

(٣) الكشف: ٦/٣.

(٤) أضواء البيان، ص ٧٤٨.

٤- الاستعارة التجريدية:

وهي الاستعارة التي يلتحق بها صفات تلائم المستعار له، وقال السكاكي فيها: إنها تكون تجريدية «متى عقببت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفرّيع كلام ملائم له»^(١).

قال الشنقيطي في بيان هذا النوع من الاستعارة في قوله تعالى: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ [النحل: من الآية ١١٣]: «وقد اختلف أهل البيان في هذه الآية، فبعضهم يقول: فيها استعارة مجردة، يعنون أنها جيء بها يلائم المستعار له، وذلك في زعمهم أنه استعار اللباس لما غشيهم من بعض الحوادث كالجوع والخوف، بجامع اشتماله عليهم كاشتمال اللباس على اللابس على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية التحقيقية، ثم ذكر الوصف الذي هو الإذاقة ملائماً للمستعار له الذي هو الجوع والخوف، لأن إطلاق الذوق على وجدان الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة لكثرة الاستعمال، فيقولون: ذاق البؤس والضرر، وأذاقه غيره إياهما، فكانت الاستعارة مجردة لذكر ما يلائم المستعار له، الذي هو المشبه في الأصل في التشبيه الذي هو أصل الاستعارة. ولو أريد ترشيح هذه الاستعارة في زعمهم لقليل: فكساها: لأن الإتيان بما يلائم المستعار منه الذي هو المشبه به في التشبيه الذي هو أصل الاستعارة يسمى «ترشيحاً»، والكسوة تلائم اللباس، فذكرها ترشيح للاستعارة، قالوا: وإن كانت الاستعارة المرشحة أبلغ من المجردة، فتجريد الاستعارة في الآية أبلغ، من حيث روعي المستعار له الذي هو الخوف والجوع، بذكر الإذاقة المناسبة لذلك ليزداد الكلام وضوحاً.

(١) مفتاح العلوم، ص ١٨٢.

وقال بعضهم: هي استعارة مبنية على استعارة، فإنه أولاً استعار لما يظهر على أبدانهم في الاصفرار والذبول والنحول اسم اللباس، بجامع الإحاطة بالشيء والاشتمال عليه، فصار اسم اللباس مستعاراً لآثار الجوع والخوف على أبدانهم، ثم استعار اسم الإذاقة لما يجدونه من ألم ذلك الجوع والخوف المعبر عنه باللباس، بجامع التعرف والاختبار في كل من الذوق بالفم، ووجود الألم من الجوع والخوف، وعليه ففي اللباس استعارة أصلية، وفي الإذاقة المستعار لمس ألم الجوع والخوف استعارة تبعية.

وقد أئمننا هنا بطرف قليل من كلام البيانين هنا ليفهم الناظر مرادهم، مع إنَّ التحقيق الذي لاشك فيه أنَّ كلَّ ذلك لا فائدة فيه، ولا طائل تحته، وأنَّ العرب تطلق الإذاقة على الذوق وعلى غيره من وجود الألم واللذة، وأنها تطلق على اللباس المعروف، وتطلقه على غيره ممَّا فيه معنى اللباس على الاشتمال، كقوله: ﴿هَنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٧]. وقول الأعشى^(١):

إذا ما الضجيج ثنى عطفها تثنت عليه فكانت لباسا
وكلَّها أساليب عريية. ولا إشكال في أنَّه إذا أطلق اللباس على مؤثر
مؤلم يحيط بالشخص إحاطة اللباس، فلا مانع من إيقاع الإذاقة على ذلك
الألم المحيط المعبر عنه باسم اللباس^(٢).

ب- المجاز المرسل:

وهو أحد أنواع المجاز اللغوي، وقد أشار القدماء إلى هذا النوع من المجاز

(١) ديوانه ، ١٠٢ .

(٢) أضواء البيان، ص ٥٥٦.

فابن قتيبة يقول: «العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمّى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً لها أو مشاكلاً»^(١). وعرفه القزويني بقوله: «هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسةً غير التشبيه»^(٢) وبذلك أخرج القزويني المجاز المرسل من باب التشبيه.

وسمي هذا النوع مرسلًا، لأنَّ الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيّد بادّعاء أنَّ المشبه من جنس المشبّه به، والمرسل مطلق ومحرر من هذا القيد: «وقيل إنّما سُمّي مرسلًا لإرساله على التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري فإنّهُ بعلاقة هي المشابهة»^(٣).

وذكر السيوطي^(٤)، وهذا النوع من المجاز تحت عنوان (المجاز في المفرد) بعد أن عدَّ (المجاز العقلي) مجازاً في التركيب. وذكر أنواعه.

ومن علاقات المجاز المرسل التي ذكرها الشنقيطي:

١- الجزئية: (إطلاق الجزء وإرادة الكل):

أشار الشنقيطي إلى هذه العلاقة في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ [العلق: ١٦]، حيث قال: «أسند الكذب في هذه الآية الكريمة إلى ناصية هذا الكافر، وهي مقدم شعر رأسه، مع أنّه أسنده في آيات كثيرة إلى غير الناصية كقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ

(١) تأويل مشكل القرآن، ص ١٠٢.

(٢) الإيضاح: ٣٩٧/٢، التلخيص، ص ٢٩٥.

(٣) حاشية الدسوقي: ٢٩/٤.

(٤) ينظر: الإتيان: ٧٥٦/٢ وما يليها.

هُمْ الْكَذِبُونَ ﴿[النحل: ١٠٥] والجواب ظاهر، وهو أنه هنا أطلق الناصية، وأراد صاحبها على عادة العرب في إطلاق البعض، وإرادة الكل﴾^(١).

وبعد ذلك يذكر الشنقيطي أمثلة لهذا النوع منها، قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] يعني أبا لهب، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢] يعني بما قدمتم. ومن ذلك تسمية العرب الرقيب عينا. وقوله: خاطئة، لا يعارضه، قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب: ٥] لأنَّ الخاطئ، هو فاعل الخطيئة أو الخطأ بكسر الخاء. وكلاهما الذنب، كما بينه قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِئْتُمْ فِيهِ كَبِيرًا فَتُؤْفَكُونَ﴾ [نوح: ٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ قَلِيلَهُمْ كَانَتْ خِطَاً كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، فالخاطئ المذنب عمداً، والمخطئ من صدر منه الفعل من غير قصد، فهو معذور^(٢).

٢- المسببية (ذكر السبب وإرادة المسبب)

قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]: «أطلق - جل وعلا- في هذه الآية الكريمة الرزق وأراد المطر، لأنَّ المطر سبب الرزق، وإطلاق المسبب وإرادة سببه لشدة الملازمة بينهما، أسلوب عربي معروف... وقد أوضحنا في رسالتنا المسماة «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» أنَّ أمثال هذا أساليب عربية، نطقت بها العرب في لغتها، ونزل بها القرآن، وأنَّ ما يقوله علماء البلاغة من أنَّ في الآية ما يسمونه المجاز

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ٣٨١.

(٢) المصدر نفسه.

المرسل الذين يعدون من علاقاته السببية والمسببية، لا داعي إليه، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه»^(١).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾ [الزحرف: من الآية ٦١].

قال الشنقيطي: «ومعنى قوله: ﴿لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ على القول الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم، والسنة المتواترة، هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حياً، علم للساعة أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراتها الدالة على قربها. وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى، جار على أمرين، كلاهما أسلوب عربي معروف.

أحدهما: أن نزول عيسى المذكور، لما كان علامة لقربها، كانت تلك العلامة، سبباً لعلم قربها، فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب.

وإطلاق المسبب وإرادة السبب، أسلوب عربي معروف في القرآن، وفي كلام العرب... ومعلوم أن البلاغيين ومن وافقهم، يزعمون أن مثل ذلك من نوع ما يسمونه المجاز المرسل، وأن الملازمة بين السبب والمسبب من علاقات المجاز المرسل عندهم»^(٢).

٣- السببية: (ذكر السبب وإرادة المسبب)

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٤٥]، قال الشنقيطي: «لم يُبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت

(١) أضواء البيان، ص ١٥٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٤٢.

على عيسى، لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه، ولكنه بين في موضع آخر، أنها لفظة كن وذلك في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ طَّ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وقيل: الكلمة بشارة الملائكة لها بأنها ستلده واختاره ابن جرير، والأول قول الجمهور»^(١).

ومن إطلاق السبب وإرادة المسبب كقول الشاعر:
أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
فأطلق الدم وأراد الدية، لأنه سببها^(٢).

٤- اللزومية: (إطلاق اسم اللازم على الملزوم)

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور : ٢٧]، قال الشنقيطي في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة الذي ذكر أنها أشكلت على كثير من أهل العلم من أجل التعبير عن الاستئذان بالاستئناس مع إنيهما مختلفان في المادة والمعنى، ذاكراً أن تفسير الآية أوجه متعددة، واحداً منها يتعلق بإطلاق اللزومية وهي قوله ما نصه: «الوجه الأول: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش، لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس وزال عنه الاستيحاش، ولما كان الاستئناس لازماً للإذن

(١) أضواء البيان، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧١.

أطلق اللازم، وأريد ملزومه الذي هو الإذن، وإطلاق اللازم، وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف، والقائلون بالجواز يقولون: إنَّ ذلك من المجاز المرسل، وعلى إن هذه الآية أطلق فيها اللازم الذي هو الاستئناس وأريد ملزومه الذي هو الإذن يصير المعنى: حتى تستأذنوا، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله تعالى بعده: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، وقال الزمخشري في هذا الوجه بعد أن ذكره: وهذا من قبيل الكناية، والإرداف، لأنَّ هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن»^(١).

٥- الماضية: (إطلاق لفظ الماضي وإرادة المستقبل)

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَنُؤْمِرُ اللَّهَ﴾ [النحل: من الآية ١]، قال الشنقيطي: «أي: قرب وقت إتيان القيامة. وعبر بصيغة الماضي تزيلاً لتحقيق الوقوع مترلة الوقوع... والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه كثير في القرآن، كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الزمر: من الآية ٦٨]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: من الآية ٤٤]، وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ^(٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٧١) [الزمر: ٦٩ - من الآية ٧١]، فكل هذه الأفعال الماضية بمعنى الاستقبال، نزل تحقق وقوعها مترلة الوقوع»^(٢).

(١) أضواء البيان، ص ١٣٥٠، وينظر: الكشاف: ٣٩٦/٤.

(٢) أضواء البيان، ص ٤٨٦.

٦- المحلية: (ذكر المحل وإرادة الحال)

ويتجلى لنا هذا من خلال كلام الشنقيطي على محل العقل قائلاً ما نصه: «واعلم أوّلاً: أنّه يغلبُ في الكتاب والسنة إطلاق القلب وإرادة العقل وذلك أسلوب عربي معروف، لأنّ من أساليب اللغة العربيّة: إطلاق المحل وإرادة الحال فيه، كعكسه، والقائلون بالمجاز يُسمّون ذلك الأسلوب العربي مجازاً مرسلًا، ومن علاقات المجاز المرسل عندهم: المحليّة والحاليّة، كإطلاق القلب وإرادة العقل، لأنّ القلب محلُّ العقل، وكإطلاق النّهر الذي هو الشقُّ في الأرض على الماء الجاري فيه، كما هو معلوم في محله.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فعاقبهم الله بأنّهم لا يفقهون بقلوبهم، والفقه الذي هو الفهم لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على إنّ القلب محل العقل، ولو كان الأمر كما زعم الفلاسفة لقال: «لهم أدمغة لا يفقهون بها»^(١).



(١) من فتاوى فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص ٣٢.

المبحث الثالث

الكناية

الكناية لغةً: جاء في اللسان: «أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنتى عن الأمر بغيره يكتنى كناية، وتكتنى: تستر من كفى عنه إذا ورى، أو من الكنية»^(١).

وفي الاصطلاح، فنقول: إنَّ العلماء المتقدمون قد فهموا هذا اللون البلاغي، ومثلوا له بأمثلة وافرة^(٢)، إلاَّ أنَّ فن الكناية ظل مختلطاً ومتداخلاً بأنواع البلاغة فلم يعطوا تعريفاً للكناية، حتَّى مجيء عبد القاهر الجرجاني فقال في تعريفها: «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة... وفي المرأة نؤوم الضحى والمراد أنَّها مترفة مخدومة»^(٣).

وعرّفها السكاكي (ت ٦٢٦هـ) فقال: «هي ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك»^(٤).

فالسكاكي يعتمد في التعريف السابق علاقة اللازم والملزوم فلو قلنا (كثير الرماد) نعدّ هذا الكلام من اللازم، ولكن هناك معنى ملزوم بهذا اللازم، وهو الكرم، وهذا ما قصده السكاكي بالملزوم.

(١) لسان العرب: مادة (كنى).

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٧٣/٢، و١٥٥/١، والعمدة: ٣١٢/١، ومعاني القرآن: ١٩/١ و٥٠ و٣٣٥.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٥٢.

(٤) مفتاح العلوم، ص ١٨٩.

وعرّف القزويني (ت ٧٣٩هـ) الكناية، فقال: «الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناً حينئذ^(١) وقسم السكاكي الكناية على ثلاثة أقسام: باعتبار ما يُكنى عنه إن جاز ذلك لنا.

وهذه الأقسام هي:

١- الكناية المطلوب بها الموصوف نفسه. وهي قريبة وبعيدة، ومثال القرية قول أبي العلاء^(٢):

سَلِيلُ النَّارِ دَقَّ وَرَقٌ حَتَّى
كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَهُ السَّلَالَا
وسَلِيلِ النارِ كناية عن السيف.

والكناية البعيدة أن يتكلف المتكلم اختصاصها بأن يضم إلى لازم لازماً آخر وآخر حتى يلفق مجموعاً وصفيّاً مانعاً من دخول كلّ ماعداً مقصوده، كأن يُقال في الكناية عن الإنسان: (حيٌّ مستوي القامة عريض الأظفار).

٢- الكناية المطلوب بها الموصوف نفسه، وهي قريبة وبعيدة، فالقرية كقول الشاعر^(٣):

وَلَكَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تُدْمِي كَلُومُنَا
وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ
وهذا كناية عن الشجاعة.

والكناية البعيدة هي الانتقال إلى المطلوب من لازم بعيد بوساطة لوازم كقول نصيب بن رباح^(٤).

(١) الإيضاح: ٤٥٦/٢، والتلخيص، ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٤٥٧/٢-٤٥٨ وديوانه: ١٢٨/١.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٤٥٩/٢، وأمالى ابن الشجري: ٢٢٨/٢.

(٤) ينظر: الشعر والشعراء، ص ٣٨٤، ودلائل الإعجاز، ص ٢٣٨-٢٣٩، وديوانه،

ص ٩٩، والإيضاح: ٤٦٠/٢.

لعبد العزيز على قومه وغيرهم مِّن ظَاهِرِهِ
فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلُّك أنسُّ بالزائرين مِّن الأمِّ بابتها الزائرة
فإنَّه انتقل من وصف كلبه بما ذكر أنَّ الزائرين معارف عنده، ومن ذلك
اتصال مشاهدتهم ليلاً ونهاراً، ومنها إلى لزومهم بابه، ومنها إلى وفور إحسانه
وهو المقصود.

٣- الكناية التي تطلب بها تخصيص الصِّفة بالموصوف، وهي الكناية عن نسبة
يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه. ومن هذا النوع قول زياد الأعجم^(١).
إِنَّ السَّمَاةَ والمَرْوَةَ والنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ

□ الكناية عند الشنقيطي:

وقف الشنقيطي على أمثلة عديدة، وضح الغرض منها بأسلوب يتسم
بالوضوح والدقة في العبارة، مما يدل على فهمه العميق لها ومن تلك الأمثلة
كل حسب نوعه:

﴿النوع الأول: الكناية عن صفة:﴾

وقد وردت الكناية عن صفة في القرآن الكريم بأنماط متعددة، وقف
الشنقيطي في تفسيره على بعضها وهي:

١- الكناية عن الندم:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان:
من الآية ٢٧].

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٣٧-٢٣٨، ومعاهد التنصيص: ١/١٩٥،
والمفضليات، ص ١٠٩، والإيضاح: ٢/٤٦٥، والبيت للشنفرى.

قال الشنقيطي: «كناية عن شدة الندم والحسرة، لأنّ النادم ندماً شديداً، يعض على يديه»^(١). وقال البيضاوي: «من فرط الحسرة، وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كناية عن الغيظ والحسرة؛ لأنّها من روادفهما»^(٢). وإلى هذا المعنى ذهب أكثر العلماء^(٣).

٢- الكناية عن التواضع:

ومنها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] قال الشنقيطي: «والخفض مستعمل في معناه الحقيقي الذي هو ضد الرفع، لأنّ مريد البطش يرفع جناحيه، ومظهر الذل والتواضع يخفض جناحيه، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما والتواضع لهما... وإطلاق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع، ولين الجانب: أسلوب معروف، ومنه قول الشاعر:

وأنتَ الشَّهير بخفض الجناح فلا تك في رفعة أجـدلا»^(٤)

قال أبو حيان في هذه الآية الكريمة: «كناية عن التواضع»^(٥).

٣- الكناية عن شدة الهول:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةً

(١) أضواء البيان، ص ١٤٠٧.

(٢) أنوار التنزيل: ٢١٥/٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٣/٩، ومدارك التنزيل: ٣٩٩/٤، والتفسير الكبير: ٦٦/٢٤، وإرشاد العقل السليم: ٢١٣/٦.

(٤) أضواء البيان، ص ١٤٣٤.

(٥) البحر المحيط: ٤٣/٧.

السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ [الحج: ١-٢]، قال الشنقيطي في أحد أوجه تفسيره لهذه الآية: «أنَّ ذلك كناية عن شدة الهول كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [الزَّمَلُ: ١٧]»^(١). وحمل ابن عاشور الآية على الكناية أيضاً^(٢).

﴿التنوع الثاني: الكناية عن الموصوف

أي: المطلوب بها الموصوف نفسه. ومن هذا النوع الوارد في تفسير الشنقيطي ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، قال الشنقيطي مستعيناً بقول الزمخشري: «وقال الزمخشري في الكشف في تفسير قوله تعالى هنا: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ جعل المس عبارة عن النكاح الحلال؛ لأنه كناية عنه»^(٣)، وقال الخازن: «أي: ولم يقربني زوج»^(٤) وإلى هذا المعنى ذهب أكثر العلماء^(٥).

ومنه أيضاً ما جاء قوله تعالى: ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ [الفرقان: من الآية ٢٨]، قال الشنقيطي: «العرب تطلق لفظ فلان كناية عن العلم: أي: لم أتخذ

(١) أضواء البيان، ص ٩٦٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٨/١٧.

(٣) أضواء البيان، ص ٧٦٢، وينظر: الكشف: ١١/٣.

(٤) أبواب التأويل: ٢٤١/٤.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩٢/٤، وروح المعاني: ٧٧/١٦، والبحر المحيط:

١٦١/٦، وأنوار التنزيل: ٩/٤.

أبياً أو أمية خليلاً»^(١). وإلى هذا المعنى ذهب النسفي قائلاً: «فلاناً خليلاً» كناية عن الأعلام»^(٢)، وتبعه في ذلك القرطبي والبيضاوي^(٣).

٣- الكناية عن نسبة:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف : ١١]، قال الشنقيطي: «وضربه -جل وعلا- على آذانهم في هذه الآية كناية من كونه أنامهم»^(٤)، ويورد الشنقيطي قول أبي حيان في هذه الآية الكريمة قائلاً: «وقال أبو حيان في قوله: «فضربنا على آذانهم» عبر بالضرب ليدل على قوة المباشرة واللصوق واللزوم، ومنه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّذَلَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢] وضرب الجزية وضرب البعث قال الشاعر:

إنَّ المروءة والسَّماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج
وذكر الجارحة التي هي الآذان، إذ هي يكون منها السمع، لأنَّه لا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع»^(٥).

□ إنكار المجاز

اختلف العلماء في مسألة إثبات المجاز أو نفيه في القرآن الكريم، فقد ذهب أكثر العلماء بوقوع المجاز في القرآن الكريم، ولم يقل بنفيه وإنكاره إلا عدد قليل من العلماء^(٦)، أبرزهم الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية.

(١) أضواء البيان، ص ١٤٠٨.

(٢) مدارك التنزيل: ٤٤٢/٢.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٣/٩، وأنوار التنزيل: ٢١٥/٤.

(٤) أضواء البيان، ص ٦٧٧.

(٥) أضواء البيان، ٦٧٧، وينظر: البحر المحيط: ٩٩/٦.

(٦) ينظر: البرهان، ص ٤٧٤، والإتقان: ٩٤/٣.

أما عن الشنقيطي فإنه يذهب إلى القطع بمنع وقوع المجاز في القرآن، وقد ألف رسالة في ذلك سماها «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» والذي يقول في مطلعها: «والذي ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق، إنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن»^(١). ومن المرجح أن الشنقيطي لم ينكر المجاز إلا بعد بروز شخصيته العلمية والمعرفية، وكان دافعه من إنكاره للمجاز هو الخوف من تعطيل الله ﷻ في أسمائه وصفاته، وذلك لشدة الارتباط بين المجاز وتأويل الأسماء والصفات.

ومن الأدلة التي احتج بها، أن المجاز يصح نفيه. وهذا من أقوى الأدلة التي استدلت بها الشنقيطي ومن أنكر المجاز قبله، وهو يقول في ذلك: «وأوضح دليل على منع وقوع المجاز في القرآن هو إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نفيه صادقاً في الأمر نفسه، فتقول لمن قال رأيت أسداً يرمي، ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه، ولا شك في أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن... وطريق مناظرة القائل بالمجاز في القرآن هي أن يقال: لا شيء في القرآن يجوز نفيه، وكل مجاز يجوز نفيه، فينتج أنه لا شيء من القرآن بمجاز»^(٢).

وذكر الشنقيطي أمثلة متعددة لتوضيح صحة ما ذهب إليه ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] نراه ينفي المجاز في انقضا الضار مثبتاً حقيقة فيقول: «اعلم أن هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون: بأن المجاز واقع في

(١) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص ٦، ومذكرة أصول الفقه، ٥٨١.

(٢) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص ٦، ومذكرة أصول الفقه، ٥٨١.

القرآن زاعمين أنّ إرادة الجدار الانقضا لا يمكن أن تكون حقيقة، وإنّما هي مجاز، وقد دلّت آيات من كتاب الله تعالى على أنّه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، لأنّ الله تعالى يعلم للجماادات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق، كما صرح تعالى بأنّه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحُدُودِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فصرّح بأننا لا نفقه تسبيحهم، لأنّ تسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو - جل وعلا-، أما نحن فلا نعلمها.

وأمثال ذلك كثيرة من القرآن والسنة، فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْمَاءً وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ٧٤]، فتصريحه سبحانه بأنّ بعض الحجارة يهبط من خشية الله تعالى، فهو دليل واضح في ذلك، لأنّ تلك الخشية بإدراك يعلمها الله تعالى، أما نحن فلا نعلمه.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك كما ثبت في صحيح مسلم من أنّ النبي ﷺ قال: «إني لأعلم حجراً كان يسلم عليّ بمكة»^(١)، وكذا ما ثبت في صحيح البخاري: «من حنين الجذع الذي كان يخطبُ عليه ﷺ جَزَعاً لفراقه»^(٢)، فـ(تسليم ذلك الحجر) و(حنين ذلك الجذع) كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله تعالى، أما نحن فلا نعلمه.

وزعم من لا علم عنده من أنّ هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنّما هي عنده

(١) صحيح مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (فضل نسب النبي ﷺ)، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: ١٢٨٢/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب (المناقب)، باب (علامات النبوة في الإسلام): ١٣١٣/٣.

ضرب للأمثال، هو زعم باطل، لأنّ نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلّا بدليل يجب الرجوع إليه. وبذلك تعلم أنّه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار على حقيقتها لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاء، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة»^(١).

والملاحظ في تفسير الشنقيطي قوله في كلّ ما يصفه العلماء مجازاً أنّه (أسلوب من أساليب اللغة العربية) وذلك بمثابة التصدي لأقوال المؤولين فيقول: «والسبب الذي جعل العلماء يقولون بنفي المجاز عموماً في القرآن إقبال باب التأويل، ولكن من الممكن أن نُقفل عليهم باب التأويل بأن نقر بوجود الأسلوب، ولكن في أسماء الله وصفاته نناقشهم بالطريقة الآتية وهي: نقول لهم: إنّ مما اتفق العلماء عليه: أنّه إذا تعارضت الحقيقة والمجاز، فإنّ الأصح حمل الدلائل في الكتاب والسنة على الحقيقة ما لم يدلّ الدليل على المجاز، فلما قال تعالى: ﴿يَدَيَّ﴾ [ص: من الآية ٧٥] أي: يديه، حملناه على الحقيقة، فلما لم يوجد دليل من الكتاب والسنة على صرف اللفظ عن الحقيقة بقينا عليهم، فقلّتم بالصرف -ويقصد الأشاعرة- بدلالة العقل، ولا نعتبرها دليلاً كافياً للعدول عن ظاهر القرآن، وهذا الأصل قرّره الأصوليون في باب تعارض الحقائق»^(٢).

وهذا أصبح واضحاً لنا أنّ نعلم أنّ الشنقيطي من العلماء الذين أنكروا وقوع المجاز في القرآن الكريم وحصرّاً في آيات أسماء الله وصفاته، أمّا في غير هذه الآيات فهي أساليب تكلمت بها العرب وذلك؛ لأنّ مجال اللغة رحب

(١) أضواء البيان، ص ٧٣٧-٧٣٨.

(٢) درس للشيخ محمد المختار الشنقيطي، بعنوان (وقوع المجاز).

وميدانها فسيح، كقوله تعالى: ﴿وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ﴾ [الإسراء: من الآية ٢٤].

قال الشنقيطي: «فليس المراد به أن للذل جناحاً... بل المراد من الآية الكريمة كما يدلّ عليه كلام جماعة أهل التفسير أنّها من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: واخضض لهما جناحك الذليل لهما من الرحمة، ونظيره من كلام العرب قولهم حاتم الجود، أي: الموصوف بالجود ووصف الجناح بالذل مع أنّه صفة الإنسان؛ لأنّ البطش يظهر برفع الجناح، والتواضع واللين يظهر بخفضه، فخفضه كناية عن لين الجانب كما قال:

وأنت الشهير بخفض الجناح فلا تك برفعة أجدا

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿مَطَرًا سَوَّءً﴾ [الفرقان: من الآية ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: المطر الموصوف بأنّه يسوء من وقع عليه، والعذاب الموصوف بوقوع الهون على من نزل به، وإضافة صفة الإنسان لبعض أجزائه أسلوب من أساليب اللغة العربية كما قال هنا جناح الذل، مع إنّ الذليل صاحب الجناح، ونظيره قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]، والمراد صاحب الناصية التي هي مقدم شعر الرأس، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ ② عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ [الغاشية: ٢-٣]، مع إنّ تلك الصفات لأصحاب الوجوه، وقوله تعالى: ﴿وَسَّالٍ الْقَرْيَةِ﴾ [يوسف: من الآية ٨٢]، فيه حذف مضاف، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أسلوب من أساليب اللغة معروفة»^(١).

(١) مذكرة أصول الفقه، ص ٥٨-٥٩.

الفصل الثالث

علم البديع

البديع لغةً: بَدَعَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابتَدَعَه: أنشأه وبدأه، وأبدعت الشيءَ اختَرَعَه لا على مثالٍ سابقٍ... والبديعُ من أسماءِ الله تعالى، والبديع: الجديد^(١). اصطلاحاً: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة^(٢).

وأول من وضع هذا العلم هو عبد الله بن المعتز العباسي (ت ٢٧٤هـ)، وقد تابعه في وضع أصول هذا العلم، في عصره، قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ)، ثم جاء بعدهما كثيرون ألفوا في هذا العلم وزادوا فيه، منهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) وابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) وغيرهما^(٣).

وهو ضربان: معنوي ولفظي^(٤).

فالبديع المعنوي ما كان التحسين فيه يرجع إلى المعنى والبديع اللفظي ما كان التحسين فيه يرجع إلى اللفظ لكننا في الحقيقة لا نستطيع أن نفصل

(١) لسان العرب: مادة (بدع).

(٢) التلخيص، ص ٤٨، وينظر: البيان الحديث في علوم البلاغة والعروض، ص ١٠٧.

(٣) التلخيص، ص ١٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

عملياً بين البديع اللفظي والبديع المعنوي، لأنّ كل نوع من البديع له علاقة وشيجة بالمعنى.

وقد تناول الشنقيطي هذا النوع من البلاغة في تفسيره للقرآن الكريم ومن أنواعه:

﴿أولاً: التجنيس:﴾

التجنيس لغةً: كل ضرب جنس، والجنس أعم من النوع، يقال: هذا يجانس هذا أي: يشاكله^(١).

واصطلاحاً: عرفه القزويني بقوله: «وأما اللفظي: فمنه الجناس بين اللفظين، وهو تشابههما في اللفظ، والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها»^(٢). وهو من الفنون البديعية التي خصّها قسم كبير من المفسرين بالذكر^(٣): «وهو ضرب من التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه الكلي، أو الجزئي في تركيب الألفاظ، فهذا التشابه في الجرس يدفع إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي ومدلوله على المعنى»^(٤).

وقد تنبه الدارسون إلى هذا النوع من الفن في كتب البلاغة والتفسير،

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٨٦/١، ولسان العرب: مادة (جنس).

(٢) التلخيص، ص ٣٤٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٧/١٠، والبحر المحيط: ١٠/٩، والتسهيل:

١٦٧/٢، والإتقان: ٩٢١/٢، وقطف الأزهار: ٤١٢/١، و٥٠٣، و٦٧٢،

والتحرير والتنوير: ٦٠٥/٣٠.

(٤) جرس الألفاظ، ص ٢٨٤.

ولكن الذي ظهر لي أن الشنقيطي لم يهتم به، فجاء ذكره له قليلاً جداً في تفسيره ومقتصراً على نوع واحد من أنواعه، وذلك فقط في ما جاء أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : ١٠٤].

قال الشنقيطي: «وبين قوله: «يحبسون، ويحسنون الجنس المسمى عند أهل البديع «تجنيس التصحيف» وهو أن يكون النقط فرقاً بين الكلمتين، كقول البحرى:

لم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه
فبين «المغتر والمعتز» الجنس المذكور»^(١).

❦ ثانياً: المشاكلة

المشاكلة لغة: جاء في مقاييس اللغة: «الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة. تقول: هذا شِكْلُ هذا أي مثله. ومن ذلك يقال: أمر مُشَكِل، كما يقال: أمر مشْتَبِهٌ، أي: هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا»^(٢).
المشاكلة اصطلاحاً: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا^(٣)، وسمّاه الرماني بالمزاوجة^(٤).

والمشاكلة نوعان: مشاكلة حقيقية ومشاكلة تقديرية^(٥).

(١) أضواء البيان، ص ٧٤٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣/٢٠٤، وينظر: لسان العرب مادة (شكل).

(٣) ينظر: مفتاح العلوم، ص ٤٢٤، ومعتز الأقران: ١/٣١٢.

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، ص ٩٩.

(٥) التلخيص، ص ٣٥٦، والإيضاح: ٢/٣٨٤.

وقد سار الشنقيطي على طريقة سابقيه في بيان حد المشاكلة وأمثلتها، وقد بين هذا المصطلح البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: من الآية ١٢٦]، قال الشنقيطي: «أطلق -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة اسم العقوبة على الجناية الأولى في قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ والجناية الأولى ليست عقوبة، لأن القرآن بلسان عربي مبين، ومن أساليب اللغة العربية المشاكلة بين الألفاظ، فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به في الكلام، كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخة قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

أي: خيطوا لي، وقال بعض العلماء: ومنه قول جرير:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذه الأرامل الذكر

بناءً على القول بأن الأرامل لا تطلق في اللغة إلا على الإناث.

ونظير الآية الكريمة في إطلاق إحدى العقوبتين على ابتداء الفعل مشاكلة

للفظ الآخر، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ [الحج: من الآية ٦].

ونحوه أيضاً قوله: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠] مع إن

القصاص ليس بسيئة، وقوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: من

الآية ١٩٤] لأن القصاص من المعتدي أيضاً باعتداء كما هو ظاهر، وإنما

أدى بغير لفظه للمشاكلة بين اللفظين»^(١).

(١) أضواء البيان، ص ٥٦٠.

﴿ثالثاً: التجريد:﴾

التجريد لغةً: جاء في اللسان: «جرد الشيء: يجرده جرداً وجرّده: قشره»^(١).

والتجريد مصدر جردته من ثيابه إذا نزعتها عنه^(٢).

التجريد اصطلاحاً: فقد عرّفه القزويني (ت ٧٣٩هـ) قائلاً: «وهو أن يُنتزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرٌ مثلهُ فيها مبالغةٌ لكمالها فيه، وهو أقسام: منها نحو قولهم: (لي من فلان صديق حميم)، أي: بلغ فلان من الصداقة حداً صحَّ معه أن يُستخلصَ منه صديق آخر مثله فيها، ومنها قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر»^(٣). وفائدة هذا النوع البديعي المبالغة في الصفة الملاصقة الموصوف فقولنا: «لي من فلان صديق حميم». جردنا من الرجل الصديق آخر مثله متصف بصفة الصداقة.

وقد ذكر الشنقيطي هذا اللون من البديع ناقلاً لمقولة قالها مقيدة نقلها بدوره من الآلوسي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَّارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ١١]، فقال ما نصه: «قال مقيدة -عفا الله عنه-: هذا الجواب الذي ذكره الآلوسي يدخل في حد نوع من أنواع البديع المعنوي يسميه علماء البلاغة التجريد، فحد التجريد عندهم، هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه، وأقسامه معروفة عند البيانين. فمنه ما يكون التجريد فيه بحرف، نحو قولهم لي من فلان صديق حميم، أي:

(١) لسان العرب: مادة (جرد).

(٢) ينظر: أنوار الريع: ١٥٣/٦، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٤٠/٢.

(٣) التلخيص: ٣٦٨، وينظر: خزنة الأدب: ٤٣٨/٢.

بلغ من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه، وقولهم: لئن سألته لسألت به البحر بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بجرأً في السماحة، ومن التجريد بواسطة الحرف قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨] وهو أشبه شيء بالآية التي نحن بصدددها، لأن النار هي دار الخلد بعينها، لكنه انتزع منها دار أخرى، وجعلها معدة في جهنم للكفار قهويلاً لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدة، ومن التجريد ما يكون من غير توسط الحرف، نحو قول قتادة بن سلمة الحنفي:

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم
يعني نفسه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه، فإذا عرفت هذا فالنار سميت الهاوية لغاية عمقها، وبعد مهواها. فقد روي أن داخلها يهوي فيها سبعين خريفاً، وخصها البعض بالباب الأسفل من النار، فانتزع منه هاوية أخرى مثلها في شدة العمق، وبعد المهوى مبالغة في عمقها، وبعد مهواها. والعلم عند الله تعالى»^(١).

﴿رابعاً: الالتفات﴾

الالتفات من الفنون البلاغية التي وقف عليها كثير من الدارسين قديماً وحديثاً وتعود الدلالة اللغوية لهذه اللفظة إلى قولهم: لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ: صَرَفَهُ، وَالتَفَتَ التَفَاتاً... وَالتَفَتَ إِلَيْهِ صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ: لَفَتَ فُلَانًا عَنْ رَأْيِهِ، أَيْ: صَرَفْتَهُ، وَمِنْهُ الْاَلْتِفَاتُ^(٢).

والالْتِفَات مؤشّر دلالي بارز، اختصّت به العربيّة من دون غيرها^(٣)، ذلك

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ٣٨٤-٣٨٥، وينظر: روح المعاني: ٢١١/١٥.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادة (لفت).

(٣) ينظر: المثل السائر: ١٨١/٢.

أنّه يقوم على مغايرة السياق التركيبي المتداول في بناء النص أو الجملة والعدول به إلى مستوى تركيبي آخر لفائدة اقتضتها دلالة ذلك السياق الجديد.

وعرف هذا الأسلوب من العلماء منذ عهد مبكر، وقد أدّى ذلك إلى افتتاهم به وتصرفهم فيه، حتى سمّيت بتسميات عدّة تكاد تتفق في المعنى اللغوي له، فالفراء (ت ١٤٤هـ) سمّاه (الانتقال) في مواضع كتابه^(١). أمّا أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ)، فقد عدّه باباً من أبواب المجاز، إذ أطلق عليه الترك والتحويل^(٢). وسمّاه ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) مخالفة ظاهر اللفظ معناه^(٣). وقد تناوله أغلب علماء العربية بتسميات مختلفة لكنها تدور في فلك واحد، وهو الالتفات أو العدول، وكفانا مؤنة الباحث قاسم فتحي عامر عندما ترجم للمصطلح تاريخياً في بحثه^(٤).

وعلى الرغم من تلك التسميات المتعددة التي عرف بها هذا اللون دلاليّاً، حدّ بحدود لا تبتعد بعضها عن بعض في إعطاء المعنى الحقيقي والاصطلاحي له، ذلك هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، لأنّه ينقل فيه من صيغة إلى أخرى، كانتقال من خطابٍ حاضرٍ إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماضٍ^(٥). وهذا هو المشهور وله فوائد منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال،

(١) ينظر: معاني القرآن: ٦٠/١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٣١١/١، و٢٣٩/٢. وينظر: فن الالتفات في البلاغة العربية، ص ١٣.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن.

(٤) ينظر: فن الالتفات في البلاغة العربية، ص ١٣-٢١.

(٥) المثل السائر: ١٨١/٢، وكتاب البديع، ص ٥٨، وفن الالتفات في البلاغة العربية، ٢٤.

لِما جُبِلَتْ عليه النفوس من حُبِّ التنقلات والسَّامة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة^(١).

أما الخاصَّة فتختلف بخواصِّ مجالها، وقد ذكرها الزركشي وهي بحسب الأغراض، منها للتعميم والتنبيه والتتيميم والمبالغة والاختصاص والاهتمام والتوبيخ^(٢).

ولأهمية هذا الأسلوب في إعطاء النصِّ إيجائيةً عالية ودلالة قويَّة نجده كثيراً ما يتكرر في آيات القرآن الكريم مما جعل أكثر المفسرين يهتمون به اهتماماً ملحوظاً، إلا أن الشنقيطي لم يذكر من هذا اللون البديعي سوى نوعين اثنين من أنواعه، وهما:

١- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

وجاء ذلك في معرفة تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: من الآية ٥٣]، حيث قال الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم، ونظيره في القرآن الكريم في «الأنعام»: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقوله في فاطر: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، وقوله في «النمل»: ﴿وَمِنْ خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ

(١) ينظر: البرهان: ٣/٣٢٦، والإتقان: ٢/٩٠٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٢٥-٣٣٠.

بَهْجَةً ﴿النمل: من الآية ٦٠﴾.

وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النبات يدل على تعظيم شأن إنبات النبات، لأنه لو لم يترل الماء ولم ينبت شيئاً لهلك الناس جوعاً وعطشاً، فهو يدل على عظمته -جل وعلا-، وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له -جل وعلا-»^(١).

قال الزمخشري: «(فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لغة المتكلم المطاع، لما ذكرت من الامتنان والإيدان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتدعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يمتنع شيء عن إرادته»^(٢). وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرين^(٣)، وذكر أبي السعود أن الالتفات إلى المتكلم للتنبيه قائلاً: «وإنما التفت إلى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة»^(٤).

٢- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

وذكر هذا النوع في قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٨]، قال الشنقيطي: «الضمير في قوله: «منهم» عائد إلى القوم المسرفين، المخاطبين بقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]، وفيه ما يسميه علماء

(١) أضواء البيان، ص ٨٤٣.

(٢) الكشف: ٧٠/٣.

(٣) ينظر: على سبيل التمثيل: البحر المحيط: ٨٤/٧ ، روح المعاني: ٢٠٦/١٦،

والتحريير والتنوير: ٢٨٦/١٩.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٢١/٦.

البلاغة بالالتفات من الخطاب إلى الغيبة»^(١).

ولم أجد أحد من المفسرين قال بهذا المعنى.

٣- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ١-٢]، قال الشنقيطي: «ثم هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب، أي: فقولوا للذين عاهدتم من المشركين: سيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ معناه: اذهبوا في أرض الله مقبلين ومدبرين حيث ما أردتم، وأين أحببتم أن تتوجهوا، آمنين لا خوف عليكم، لا ينالكم منا سوء، لأنها أشهر أمان وإمهال لا ينالكم منا فيها سوء»^(٣).

وهذا ما ذهب إليه القرطبي قائلاً: «قوله تعالى: ﴿فَيَسِيحُوا﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب أي: قل لهم سيحوا أي: سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا أسر»^(٤). وتبعه الرازي والبخاري وابن الجوزي والآلوسي^(٥).

﴿خامساً: اللف والنشر:

جاء في اللسان: «اللف: الصنف من الناس من خيرٍ أو شرٍ، والتفّ

(١) أضواء البيان، ص ١٦٢١.

(٢) العذب النمير: ٢١١٥/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٦٤/٨.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٧٥/١٥، ومعالم التنزيل: ٨/٤، وزاد المسير: ٣٩٣/٣،

وروح المعاني: ٤٣/١٠.

الشيء تجمع وتكاثف، والنَّشْرُ، أنشر الله الرِّيح: أحيّاها بعد موت وأرسلها نشرًا ونشرًا»^(١).

وقد ذكره القزويني^(٢) وابن حجة الحموي (ت ٨٢٧هـ)، قال الثاني: «الطّيّ والنشر هو أن تذكر شيئين فصاعداً إمّا تفصيلاً فتنص على كلّ واحدٍ منهما وإمّا إجمالاً فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد، وتفوّض إلى العقل ردّ كل واحد إلى ما يليق به، لا أنّك تحتاج إلى أن تنص على ذلك ثم إنّ المذكور على التفصيل قسمان: قسم يرجع إلى المذكور بعده على الترتيب من غير الأضداد، لتخرج المقابلة، فيكون الأول للأول، والثاني للثاني، وهذا هو الأكثر في اللف والنشر والأشهر، وقسم على العكس وهو الذي لا يشترط فيه الترتيب، ثقة بأن السامع يرد كل شيء إلى موضعه تقدّم أو تأخّر»^(٣).

وقسمه العلماء على ضربين:

الأول: أن يكون النشر على ترتيب اللف.

الثاني: أن يكون النشر على غير ترتيب اللف^(٤).

وقد ذكر الشنقيطي اللف والنشر في تفسيره لكن أمثله عليه قليلة جداً، كقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْتٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾ وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَانٌ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِآلَيْنَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

(١) لسان العرب: مادة (لف) و(نشر).

(٢) ينظر: التلخيص، ص ٣٦١.

(٣) خزانة التلخيص، ص ٣٦١.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٣٥٥/٢، والتلخيص، ص ٣٦٢.

فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٨﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ﴿٣٩﴾ [العنكبوت: ٣٨-٣٩-٤٠]، قال الشنقيطي: «وقد أشار -جل وعلا- في هذه الآيات الكريمة على إهلاك عاد، وثمود، وقارون، وفرعون، وهامان، ثم صرح بأنه أخذ كلًّا منهم بذنبه، ثم فصل على سبيل ما يسمى باللف والنشر المرتب، أسباب إهلاكهم فقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، وهي الريح يعني: عادًا، بدليل قوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ونحو ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني ثمود، بدليل قوله تعالى فيهم: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٦٧﴾ كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٧-٦٨].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون، بدليل قوله تعالى فيهم: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا﴾ يعني فرعون وهامان بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦] ونحو ذلك من الآيات»^(١).

سادساً: مراعاة النظر

جاء في اللسان: «والنظيرُ المثل وقيل المثل في كل شيء وفلان نظيرُك

(١) أضواء البيان، ص ١٤٦٣.

أي: مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء»^(١).

وقد ذكره القزويني بقوله: «ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق، وهو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد»^(٢). وهذا يعني أن يكون الكلام متناسباً متلائماً، لا تجد فيه لفظة نافرة، ولا كلمة شاذة، تأخذ كل كلمة فيه بعنق صاحبها، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً^(٣).

وذكر الشنقيطي هذا اللون البديعي في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَنَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿[طه: ١١٧-١١٩]، قال الشنقيطي: «والظاهر أن الذي في هذه الآية الكريمة من البديع المعنوي في اصطلاح البلاغيين، وهو ما يسمى «مراعاة النظير»، ويسمى «التناسب والائتلاف. والتوفيق والتلفيق»، فهذه كلها أسماء لهذا النوع من البديع المعنوي. وضابطه: أنه جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد... وإذا علمت ذلك فاعلم أنه -جل وعلا- ناسب في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ بين نفي الجوع المتضمن لنفي الحرارة الباطنية والألم الباطني الوجداني، وبين نفي العري المتضمن لنفي الألم الظاهري عن أذى الحر والبرد، وهي مناسبة لا بالتضاد، كما أنه تعالى ناسب في قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ بين نفي الظمأ المتضمن لنفي الألم الباطني الوجداني

(١) لسان العرب: مادة (نظر).

(٢) الإيضاح: ١/١١١، والتلخيص، ص ١٧٨.

(٣) دراسات منهجية في علم البديع، ص ٦٩.

الذي يسببه الظمأ، وبين نفي الضحي المتضمن لنفي الألم الظاهري الذي يسببه حر الشمس ونحوه»^(١).

وهذا ما ذكره الآلوسي قائلاً: «وقيل: كونه السائل وكان الظاهر عدم الفصل بين الجوع والظمأ والعري والضحو للتجانس والتقارب إلا أنه عدل عن المناسبة المكشوفة إلى مناسبة أتم منها وهي أن الجوع خلو الباطن والعري خلو الظاهر فكأنه قيل لا يخلو باطنك وظاهرك عما يههما، وجمع بين الظمأ المورث حرارة الباطن والبروز للشمس وهو الضحو المورث حرارة الظاهر فكأنه قيل: لا يؤلمك حرارة الباطن والظاهر، وذلك الوصل الخفي وهو سر بديع من أسرار البلاغة»^(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن : ٥]، قال الشنقيطي: «فإن الشمس والقمر متناسبان لا بالتضاد»^(٣)، وهذا المعنى ذكره أغلب المفسرين^(٤).

واستشهد الشنقيطي أيضاً على هذا الأسلوب من الشعر العربي: «كقول البحترى يصف الإبل الأنضاء المهازِيل، أو الرماح»^(٥):

كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

(١) أضواء البيان، ص ٨٨٩.

(٢) روح المعاني: ٢٧٢/١٦.

(٣) أضواء البيان، ص ٨٨٨.

(٤) ينظر: الكشف: ٤٤٣/٤، ومدارك الترتيل: ٣/٣٨٣، وأنوار الترتيل: ٥/٢٧٣،

روح المعاني: ٢٧/١٠٠، وإرشاد العقل السليم: ٨/١٧٧.

(٥) أضواء البيان : ص ٨٨٨.

وبين الأسهم والقسي المعطفات والأوتار مناسبة في الرقة، وإن كان بعضها أرق من بعض، وهي مناسبة لا بالتضاد»^(١).

﴿سابعاً: المقابلة:﴾

جاء في اللسان: «قابل بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله»^(٢). وعرفها أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) بقوله: «المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة»^(٣). وجميع التعريفات تكاد تكون متفقة في المعنى العام. وقد أدخلها جماعة^(٤) في المطابقة وهو غير صحيح، فإنَّ المقابلة أعم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين أو أكثر^(٥).

وذكر الشنقيطي هذا النوع من الأساليب البديعية في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف : ٥٥]، قال الشنقيطي: «وقوله في هذه الآية الكريمة: «أو يأتيتهم العذاب قُبُلًا» قرأه الكوفيون: وهم عاصم وحزمة والكسائي «قُبُلًا» بضم القاف والباء. وقرأه الأربعة الباقون من السبعة: وهم نافع وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر «قُبُلًا» بكسر القاف وفتح الباء. أما على قراءة

(١) المصدر نفسه .

(٢) لسان العرب: مادة (قبل).

(٣) كتاب الصناعتين، ص ٣٣٧.

(٤) ومنهم القزويني قائلاً: «ودخلَ في المطابقة ما يُخصَّصُ باسم المقابلة». (الإيضاح: ٣٢١/١).

(٥) ينظر: خزانة الأدب: ١٢٩/١.

الكوفيين فقوله: «قُبلاً» بضمّتين جمع قبيل. والفعل إذا كان اسماً يجمع على فعل كسرير وسرر... وعلى هذا فمعنى الآية: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾، أي: أنواعاً مختلفة يتلو بعضها بعضاً. وعلى قراءة من قرؤوا «قُبلاً» كعنب، فمعناه عياناً، أي: أو يأتيهم العذاب عياناً. وقال مجاهد - رحمه الله -: «قُبلاً» أي: فجأة. والتحقيق: أن معناه عياناً، وأصله من المقابلة، لأنّ المتقابلين يعاين كل واحد منهما الآخر. وذكر أبو عبيد: أن معنى القراءتين واحد، وأنّ معناهما عياناً، وأصله من المقابلة^(١). وهذا المعنى ذهب إليه أكثر المفسرين^(٢).

ومن شواهد المقابلة في تفسير الشنقيطي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّٰى وَعَدُوّٰكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: من الآية ١]، ذكر المقابلة هنا بين «عدوي وعدوكم أولياء» فيه إبراز صورة الحال وتقبيح الفعل، لأنّ العداوة تتنافى مع الموالاتة والمساواة للعدو بالمودة^(٣).

❦ ثامناً: التضمين:

ضمّن الشيء الشيء: أودعه إيّاه كما تودع الوعاء المتاع، وقد تضمّنه هو، والمضمّن من الشعر ما ضمّنته بيتاً^(٤). ويطلق على أشياء: أحدها: إيقاع لفظٍ موقعٍ غيره، لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز.

(١) أضواء البيان، ص ٧١٩. وينظر: مجاز القرآن: ١/٧٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل: ١٨٢/٥ والمحرم الوجيز: ٥٥١/٢ والدر المنثور: ٤٠٧/٥

والجواهر الحسان: ٤٢٨/٢ والبحر المديد: ٢٤٦/٤ واللباب لابن عادل: ٣٤٣٩/١١.

(٣) أضواء البيان، ص ١٨٩٣ من التتمة.

(٤) لسان العرب: مادة (ضمن)، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٦٠.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكرٍ له باسم هو عبارة عنه، وهذا نوع من الإيجاز.

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها، وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: إدراج الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم، وهذا هو النوع البديعي^(١). والتضمين بلاغياً هو استعارة كلام الآخر وإدخاله في الكلام الجديد^(٢).

ومن شواهد التضمين التي تناولها الشنقيطي:

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٤٥]، قال الشنقيطي: «واختلف العلماء في إعراب «السيئات» في هذه الآية الكريمة، فقال بعض العلماء: نعت لمصدر محذوف، أي: مكروا المكرات السيئات، أي: القبيحات قبحاً شديداً... وقال بعض العلماء: مفعول به لـ«مكروا» على تضمين «مكروا» معنى فعلوا، وهذا أقرب أوجه الإعراب عندي... ذكر الوجه الأول الزمخشري، والآخرين ابن عطية، وذكر الجميع أبو حيان في «البحر المحيط»^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، قال الشنقيطي ناقلاً كلام أبو حيان ما نصه: «قال أبو حيان في «البحر المحيط»: وضمن قوله: «ونجيناه» معنى أخرجناه بنجاتنا إلى

(١) الإتقان: ٤٠/٢، ٥٦. وينظر: معترك الأقران: ٣٠٢/١.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين، ص ٣٦، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢٦٣/٢.

(٣) أضواء البيان، ص ٥١٤، وينظر: البحر المحيط: ٤٧٩/٥.

الأرض، ولذلك تعدى «نجيناه» بـإلى، ويحتمل أن يكون «إلى» متعلقاً بمحذوف، أي: منتهياً إلى الأرض، فيكون في موضع الحال، ولا تضمنين في «نجيناه» على هذا^(١).

﴿تاسعاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو من الفنون البديعية التي بحثها ابن المعتز (ت ٤٩٦هـ)، وتحدث بعض البلاغيين عنه تحت عنوان الاستفتاء^(٢).

وهو من الأساليب الخادعة، حيث يوهم صدر الكلام أن عجزه من قبيل الذم فإذا به من قبيل المدح، وتسمية هذا اللون بتأكيد المدح بما يشبه الذم باعتبار الأعم الأغلب؛ لأنه يقع في غير المدح والذم^(٣).

ويعد تأكيد المدح بما يشبه الذم من البديع المعنوي، لأنه يزيد المعنى وضوحاً بعد شك، وجلاء بعد ظن، وقد ذكر الشنقيطي هذا الأسلوب مستشهداً بالشعر العربي وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، قال الشنقيطي: «أي: إلا تؤذوني في قرابتي التي منكم، وكان ﷺ له في كل بطن من قريش رحم، فهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليغ، لأنه مبذول لكل أحد، لأن كل أحد يوده أهل قرابته وينتصرون له من أذى الناس.

وقد فعل له ذلك أبو طالب ولم يكن أجراً على التبليغ؛ لأنه لم يؤمن.

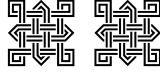
(١) أضواء البيان، ص ٩١٨، وينظر: البحر المحيط: ٣٠٥/٦.

(٢) ينظر: البديع، ص ٣٣، والصناعتين، ص ٣٢٤، والعمدة: ٤٨/٢.

(٣) دراسات منهجية في علم البديع، ص ١٨٤.

وإذا كان لا يسأل أجراً إلا هذا الذي ليس بأجر تحقق أنه لا يسأل أجراً
كقول النابغة^(١):

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بمنّ فلول من قراع الكتائب
ومثل هذا يسميه البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذم.
وهذا القول هو الصحيح في الآية، واختاره ابن جرير^(٢).



(١) ديوانه، ص ٤٤.

(٢) أضواء البيان، ص ١٦١٥، وينظر: الجامع الكبير: ٢١/٥٢٤-٥٢٥.

الخاتمة وأهم النتائج

وبعد هذه الرحلة الممتعة مع الشنقيطي، توصل البحث إلى جملة نتائج مهمة وهي على النحو الآتي:

- أثبت الشنقيطي عمق الفهم اللغوي عنده، وكشف عن كيفية تسخير هذه المعارف اللغوية في سبيل خدمة دينه ومعتقده. والمتأمل لتلك الرؤى البلاغية التي وردت على لسان الشنقيطي.

- وثيقة الصلة بين البلاغة والعلم الشرعي.

- البحث البلاغي هو إرث مشاع بين المهتمين بالنص التشريعي واللغة، وليس هو حكراً على العاملين في مجال البلاغة ومفسرنا واحداً منهم.

- أنكر الشنقيطي المجاز، وتبين فيه الأسباب الفعلية التي دفعته للإنكار وهو خوف التأويل في الأسماء والصفات.

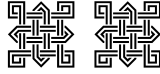
- تعدُّ البلاغة أقل شيوعاً واهتماماً عند كثير من العلماء إذا قورنت باهتمامهم بمسائل النحو. ومع هذا كشف البحث عن ثراء الملحوظات البلاغية عند الشنقيطي، مما قد يُشير إلى ثراء البحث البلاغي عنده.

- لقد تميز الشنقيطي باللفتات الذكية التي تعجل بالفهم، وتسهم في إثراء الدرس البلاغي، وبه استطاع ابن عاشور أن يستدرك على علماء البلاغة مسائل بلاغية كثيرة.

- كان الشنقيطي صاحب صوت مميز، له القدرة على التحليل والتوظيف والمقارنة، بين النص القرآني والأساليب التي درج عليها العرب.

- أكثر موضوعات الشنقيطي دوراناً كان علم المعاني بكل تفاصيله ومباحثه، ثم علم البيان وأخيراً علم البديع ومباحثه. والسبب أن دراسة الشنقيطي الشرعية والأصولية جعلته يهتم اهتماماً كبيراً بالمعاني كما لها علاقة باستنباط الأحكام الشرعية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



المصادر

١- القرآن الكريم.

-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٥هـ.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبي السعود، ت ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، جامعة بغداد، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، بغداد، ١٩٨٨م.

-أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني، ت ٤٧١هـ، صححها السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

-الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٩م.

-الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط ٢، (د.ت).

-أمالي ابن الشّجري، ضياء الدين أبي السعادات هبة الله علي بن حمزة العلوي الحسيني، ت ٥٤٢هـ، جزءان، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- أنوار الترتيل في أسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد البيضاوي الشيرازي، ت ٧٩١هـ، دار الفكر، بيروت.

- أنوار الرّبيع في أنواع البديع، علي حيدر الدين، ابن معصوم المدني، ت ١١٢٠هـ، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، ط ١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، ت ٧٣٩هـ، شرح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، جزءان، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط ٣، ١٩٨٩م.

- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، ت ٧٤٥هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق، د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي الشاذلي الفاسي (ت ١١١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

- البديع، عبد الله ابن المعتز، ت ٤٩٦هـ، نشر وتعليق أفناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٩٦٥م.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،
ت ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ٣،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، أ.د. توفيق الفيل، مكتبة
الآداب، القاهرة، (د.ت).

- البلاغة من منابعها (علم المعاني)، د. محمد هيثم غرة، دار الرؤية
للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ٢، ١٩٩٩م.

- البيان الحديث في علوم البلاغة والعروض، روز غريب، بيت الحكمة،
بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٦٩م.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، ت ٢٥٥هـ،
تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مطبعة
المدني، ط ٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني، ت
١٢٠٥هـ، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠٢م.

- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،
ت ٢٧٦هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ.

- التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: علي
محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ت ١٩٧٣م،
مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- التسهيل في علوم التتيل، محمد بن أحمد ابن جزى الكلبى، ت ٧٤١هـ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٥٥هـ.

- التعريفات، للشريف الجرجاني، ت ٨٢٦هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- تفسير الجلالين، محمد بن أحمد جلال الدين الحلبي، ت ٨٦٤هـ، وعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، دار الحديث، القاهرة، ط ١، (د.ت).

- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين (٩٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء ابن كثير، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ت ٧٣٩هـ، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ٢، ١٩٣٤م.

- تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصر المعاني)، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، ت ٧٩١هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر، ط ٣، ١٩٥٠م.

- التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، محمد بن عبد العزيز النجار، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

- جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمثور، ابن الأثير الجزري، ت ٦٣٧، تحقيق: د. مصطفى جواد وجميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط ١، ١٩٥٦م.

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.

- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، محمد الصديق الغماري، مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بتفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ت ٨٧٥هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- حاشية الدسوقي على شرح التفتازاني لتلخيص المفتاح ضمن كتاب شروح التلخيص، محمد بن أحمد ابن عرفة الدسوقي المالكي، القاهرة، ١٩٣٧م.

- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت ٢٥٥هـ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩م.
- خزانة الأدب وغاية الإرب، لأبي بكر تقي الدين الحموي، ت ٨٢٧هـ، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٩٩١م.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، د. محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني، ت ٣٩٢هـ، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ط ٤، ١٩٩٠م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو ستيت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الحكني الشنقيطي الموريتاني الأفريقي (تابع لتفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) اعتنى بها: الشيخ صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ت ٤٧١هـ، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ت).
- ديوان الشماخ، الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني رحمته الله، بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٢٧هـ.

- ديوان النابغة الذبياني، صنعه ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٨م.

- ديوان جرير بن عطية الخطفي التميمي، شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، ط ٥، ١٩٧٠م.

- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، ط ١، ١٣٧٧هـ.

- ديوان نصيب بن رباح أبو شعر نصيب، د. داود سلوم، دار الإرشاد، بغداد، ط ١، ١٩٦٨م.

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي، ت ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي البغدادي، ت ٥٩٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٥م.

- شرح ديوان الخنساء، أبو العباس ثعلب، قدم له وشرحه: د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ط ٢، ١٣٧٧هـ.

- الصاحبي في فقه اللغة، لأبي الحسن أحمد بن زكريا أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: د. أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - مصر، ١٩٧٧م.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٩١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية بلاغية، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، ١٩٨١م.

- ضياء السالك في أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، (ت ٨٣١هـ)، مطبعة دار السعادة، مصر، ط ١، ١٩٥٨م.

- العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير، اعتنى به وعلق عليه: خالد بن عثمان خمسة أجزاء، دار ابن القيم، المملكة العربية السعودية، دار ابن عفان، مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- علم المعاني، د. درويش الجندي، دار النهضة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر، ط ١، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥هـ، تحقيق:
د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،
(ت ٩١١هـ)، مكتبة دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م.
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، (ت
٣٩٥هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة
عيسى البابي الحلبي، (د.ط)، (د.ت).
- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (ت ١٨٠هـ)
تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي
القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد
الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
(ت ٥٩١هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن، علاء الدين
علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ٧٨١هـ)، دار
الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي
الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- اللّباب لابن عادل، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (ت: بعد سنة ٨٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي، ت ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٢، (د.ت).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، ت ٦٣٧هـ، تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط ٢، ١٩٨٣م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت ٢١٠هـ، علق عليه: د. فؤاد سزكين، ط ٢، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٨١م.
- مجالس الشنقيطي، الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، كتبها تلميذه أحمد ابن محمد الأمين ابن أحمد الجكني الشنقيطي، مكتب الشؤون الفنية، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي، ت ٥٤١هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت ٧٠١هـ، دار مصر للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٧١م.
- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة -رحمه الله- الشيخ محمد أمين بن المختار الشنقيطي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ت).

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

-معالم التنزيل، محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦هـ، حققه وخرج أحاديث: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

-معاني الحروف، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ت ٣٨٤هـ، حققه: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط ٣، ١٩٨٤م.

-معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.

-معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ت ٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

-معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت).

-معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م.

-معجم الأعلام، بسّام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

-المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين،

القاهرة، ١٤١٥هـ.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة الجمع

العلمي العراقي، ج ١، ١٩٨٣م وج ٢، ١٩٨٦م وج ٣، ١٩٨٧م.

- المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، إميل بديع يعقوب، طبعة

دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت ٣٩٥هـ، تحقيق:

عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن

يوسف بن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

الحميد، د.ط، (د.ت).

- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار الأسد آبادي،

ت ٤١٥هـ، دار الكتب المصرية، ١٣٨٠هـ - ١٣٦٠م.

- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب محمد بن علي السكاكي، ت ٦٢٦هـ،

مطبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، (د.ت).

- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب

الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، ضبط: هيثم طعيمة، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

- المفضليات، للمفضل الضبي، ت ١٧٦هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر

وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٤م.

- المقتضب، أبو العباس المبرد، ت ٢٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق

عظيمة، عالم الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.

- من فتاوى فضيلة الشيخ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، ضبط
نصه وعلق عليه: أبو إبراهيم المكي، الدار العثمانية، عمان، ط ١، ١٤٢٦هـ -
٢٠٠٥م.

- منع جواز المجاز في المتزل للتعبد والإعجاز، تأليف الشيخ الجليل
العلامة محمد الأمين ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الناشر، حسن محمد
محمود العلوي الشنقيطي، مطابع الرياض، ١٣٧٦هـ -.

- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله الأزهرى،
تحقيق: د. عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- نصرة الأغريض في نصرة القريض، للمظفر بن الفضل العلوي،
ت ٦٥٦هـ، تحقيق: د. نهي عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط ٢،
١٩٩٥م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر
البقاعي، ت ٨٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد المعين خان، طبعة مجلس المعارف
الإسلامية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط ١، ١٩٦٩م.

- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي
ابن عيسى الرمانى، ت ٣٨٤هـ، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد خلف
الله، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٨م.

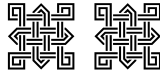
- النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد
ابن حبيب الماوردي البصري، (ت ٥٦٧هـ)، تحقيق: السيد بن عبد
المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

□ الرسائل الجامعية:

- أسلوب الحذف في القرآن الكريم، (رسالة دكتوراه)، أحلام موسى حيدر الزهاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.
- أسلوب القصر في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير)، أميرة حسن عبد الله الطيّار، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦م.
- الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (رسالة ماجستير)، أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- فن الالتفات في البلاغة العربية، (رسالة ماجستير)، قاسم فتحي عامر، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية بغداد

١١٩٤ لسنة ٢٠١٠



المحتويات

٧.....	المقدمة
١٠.....	التمهيد: الشنقيطي مولده، نشأته، آثاره العلمية
١٧.....	الفصل الأول: علم المعاني في تفسير أضواء البيان
١٩.....	المبحث الأول: الخبر والإنشاء
١٩.....	الخبر
٢٣.....	- الخبر في تفسير أضواء البيان
٢٣.....	الخبر للتحذير
٢٥.....	الخبر للتوبيخ والتقريع والإهانة
٢٥.....	الخبر للذم والوعيد
٢٦.....	الخبر للوعظ
٢٦.....	خروج الخبر إلى معنى الإنشاء
٢٩.....	المبحث الثاني: الإنشاء
٢٩.....	الإنشاء الطلبي
٣٠.....	١- الأمر - حقيقته
٣١.....	للإباحة
٣٢.....	للدب والإرشاد
٣٣.....	للتوبيخ
٣٤.....	للتهديد
٣٥.....	للتعجيز
٣٦.....	للوعد
٣٦.....	للتعجب

للتكوين	٣٧
٢- النهي - في حقيقته -	٣٨
النهي في مجازه لبيان العقابة والمجازاة	٣٩
للاحتقار والتقليل	٣٩
للإهانة	٤١
٣- الاستفهام - في حقيقته -	٤٢
في مجازه للتعجب	٤٣
للتحقير	٤٤
الاستفهام الإنكاري	٤٥
أ- الاستفهام الإنكاري التوبيخي	٤٦
ب- الإنكاري بمعنى النفي	٤٧
ج- الإنكاري التقريري	٤٨
الاستفهام التقريري	٤٩
للتوبيخ	٥٠
للفي	٥١
بمعنى الأمر	٥٢
٤- النداء - في حقيقته -	٥٤
النداء للتنبيه	٥٤
النداء للاستغاثة	٥٥
النداء بمعنى الهلاك	٥٦
٥- التمني	٥٦
الإنشاء غير الطلبي	٥٩
١- أسلوب التعجب	٥٩

- ٢- أسلوب القسم ٦١
- ٣- أسلوب المدح والذم ٦٤
- ٤- أسلوب الرجاء ٦٦
- المبحث الثالث: التقديم والتأخير ٦٨
- التقديم والتأخير عند الشنقيطي ٦٩
- ١- تقديم الخبر ٦٩
- ٢- تقديم المفعول به ٧١
- ٣- تقديم الحال على عامله الظرف ٧٢
- المبحث الرابع: الحذف والذكر ٧٥
- ١- حذف المبتدأ ٧٦
- ٢- حذف الخبر ٧٧
- ٣- حذف الفعل ٧٨
- ٤- حذف الفاعل ٧٩
- ٥- حذف المفعول ٨٠
- ٦- حذف المفعولين معاً ٨١
- ٧- حذف أحد المفعولين ٨٢
- ٨- حذف الصفة ٨٣
- ٩- حذف الموصوف ٨٤
- ١٠- حذف المضاف ٨٥
- ١١- حذف المصدر ٨٦
- ١٢- حذف المنادى ٨٦
- ١٣- حذف جواب الشرط ٨٨
- ١٤- حذف الحروف (الهمزة، وحرف الجر، والفاء، والياء) ٨٩

المبحث الخامس: الفصل والوصل	٩٣
مواضع الفصل	٩٤
المبحث السادس: القصر والحصر	١٠٠
أ- القصر باعتبار طرفيه	١٠١
١- قصر الموصوف على الصفة	١٠١
٢- قصر الصفة على الموصوف	١٠٢
٣- قصر حقيقي وغير حقيقي	١٠٢
١- القصر الحقيقي	١٠٢
٢- القصر غير الحقيقي (الإضافي)	١٠٣
ج- القصر باعتبار حال المخاطب	١٠٤
١- قصر أفراد	١٠٤
طرائق القصر	١٠٥
أولاً: القصر بالنفي والاستثناء	١٠٥
ثانياً: القصر بـ(إنّما)	١٠٦
ثالثاً: القصر بالعطف	١٠٨
رابعاً: القصر بتقديم ما حقه التأخير	١٠٩
القصر بتقديم المفعول به	١١٠
القصر بتقديم الجار والمجرور	١١١
المبحث السابع: الإطناب	١١٣
أنواع الإطناب	١١٣
١- الإيضاح بعد الإبهام	١١٣
٢- ذكر الخاص بعد العام	١١٤
٣- ذكر العام بعد الخاص	١١٦

١١٦	٤ - التكرار
١١٨	الفصل الثاني: علم البيان في تفسير أضواء البيان
١٢٠	المبحث الأول: التشبيه
١٢٠	١ - التشبيه المركب
١٢٢	٢ - التشبيه التمثيلي
١٢٧	٣ - التشبيه المقلوب
١٣٠	المبحث الثاني: المجاز
١٣١	أ - المجاز العقلي
١٣٤	المجاز العقلي عند الشنقيطي
١٣٥	ب - المجاز اللغوي
١٣٥	١ - الاستعارة
١٣٧	الاستعارة عند الشنقيطي
١٣٧	الاستعارة الأصلية
١٣٨	الاستعارة التبعية
١٤١	الاستعارة بالكناية
١٤٢	الاستعارة التجريدية
١٤٣	٢ - المجاز المرسل وعلاقاته
١٤٤	الجزئية
١٤٥	المسببية
١٤٦	السببية
١٤٧	اللزومية
١٤٨	الماضوية
١٤٩	المحلية

المبحث الثالث: الكناية وأقسامها	١٥٠
الكناية عند الشنقيطي	١٥٢
أ- الكناية عن صفة	١٥٢
١- الكناية عن الندم	١٥٢
٢- الكناية عن التواضع	١٥٣
٣- الكناية عن شدة الهول	١٥٣
ب- الكناية عن الموصوف	١٥٤
ج- الكناية عن النسبة	١٥٥
إنكار المجاز عند الشنقيطي	١٥٥
الفصل الثالث: علم البديع في تفسير أضواء البيان	١٦٠
علم البديع عند الشنقيطي	١٦١
أولاً: التجنيس	١٦١
ثانياً: المشاكلة	١٦٢
ثالثاً: التجريد	١٦٤
رابعاً: الالتفات	١٦٥
خامساً: اللف والنشر	١٦٩
سادساً: مراعاة النظر	١٧١
سابعاً: المقابلة	١٧٤
ثامناً: التضمين	١٧٥
تاسعاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم	١٧٧
الخاتمة وأهم النتائج	١٧٩
المصادر والمراجع	١٨١